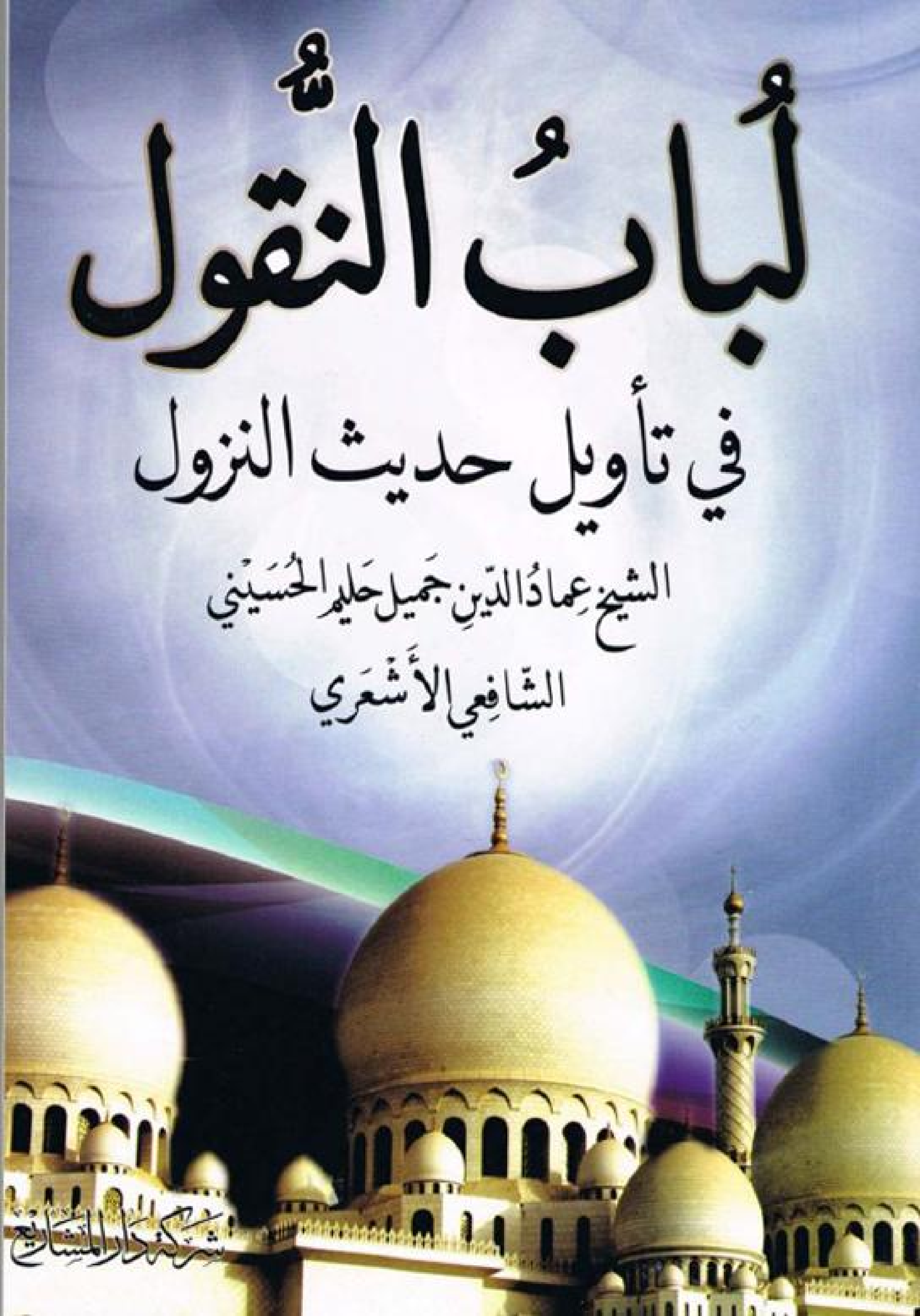

لُبابُ النُّقول
في تأويل حديث النزول
الشيخ عمادُ الدينِ جَميل حَليم الحُسَيْني
الشافِعي الأَشْعَري
شركة دار المشاريع

لُبابُ النُّقول

في تأويل حديث النزول

الشيخ عِمادُ الدينِ جَميل حَليم الحُسَيْني
الشافِعي الأَشْعَري

مُلتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١ر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى ءاله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن الإيمان بالله تعالى هو أولى ما ينبغي للمرء أن يحرص عليه، فهو أفضل الأعمال، وأنفس النعم والمنن، ومفتاح النجاة من الهلاك في الآخرة، ولذا كانت صيانة العقيدة أولى ما يتنافس في الحرص عليه، ولا سيما عند ظهور أصحاب البدع والأهواء الضالة، المشوشين على أهل الحق، المموهين على العامة بما يثبتونه من سموم شبهاتهم ليحرّفوا عقيدتهم، ويغرقوهم في مستنقعات التشبيه والكفر رافعين تارة اسم السلف الصالح، وتارة اسم أهل الحديث، وتارة اسم شيخ الإسلام فلان، أو الحافظ فلان، وتارة بالمجاهرة بالانتساب إلى الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فيقولون: هذه عقيدتنا، نحن الحنابلة، ويوردون تحت هذا الاسم عقائد التشبيه والتجسيم، كذبا على هذا الإمام وافتراء، وزورًا وباطلا وبهتانًا، كما فضحهم من قبل إمام الحنابلة في عصره، شيخ العراق وواعظ الآفاق الحافظ العلامة المفسر المتكلم الإمام ابن الجوزي القرشي الحنبلي في كتابه النفيس «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، فقال يصف حالهم وكذبهم: (الطويل)

وجـاءك قوم يدّعون تمذهبا بمذهبه، ما كل فرع له أصلُ

ومالوا إلى التشبيه أخذًا بصورة الذي نقلوه في الصفات وهم غفلُ
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال إلى تصديقهم من به جهلُ
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلُّوا
لعمري لقد أدركت منهم مشايخًا وأكثر من أدركته ما له عقلُ!

ويكفي هذه النِّحلة خزيا أنها رمت بالكفر والجهل والضلال عددًا من أعلام الأمة ونجوم الأئمة، فكفاهم خزيًا تكفيرهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، والحافظ محيي الدين النووي، وفاتح القسطنطينية، السلطان المبشَّرَ بالفتح، المخصوص بالمدح، الخليفة محمد الفاتح وغيرهم من السادة الأكابر!

ومما هو دأب هؤلاء المشوشين الخوض بين الناس والعوام باستنزالهم إلى ظواهر النصوص المتشابهة من القرءان والحديث، لإقناعهم بنسبة الجهة والحركة إلى الله تعالى، وعمدَتُهُم في ذلك حديثان واردان في الصحيح: حديث الجارية، وحديث النزول.

وأما حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ولفظ البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»، فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول

من علو إلى سفل في حق الله تعالى.

ومن الناس كالمشبّهة مدّعي السلفية ـ من يفسر هذا الحديث بأن الله ينزل من علو إلى سفل ثم يتكلم بهذا الكلام. إنَّ فهمهم هذا يدل على سخافة عقولهم، وذلك لأن الليل يختلف باختلاف البلاد، فعلى قولهم يلزم أن يكون الله تعالى في السماء الدنيا طالعًا إلى العرش كل لحظة من لحظات الليل والنهار، وهذا سخافة عقل، أما عند أهل الحق الذين ينزهون الله عن الجهة والحد فإن هذا النزول ليس نزولا حسيًّا بل هو عبارة عن نزول ملائكة الرحمة إلى السماء الدنيا بأمر الله على حسب ليل كل أرض، فهؤلاء الملائكة ينزلون ثم يبلغون عن الله يقولون: إن ربكم يقول: هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هم يبلغون عن الله بأمره ذلك إلى أن يفجر الفجر، وهذا شيء يقبله العقل أما ما يقوله المشبهة فهو شيء لا يقبله الشرع ولا العقل وهذا التأويل أخذه أهل السنة والجماعة من رواية النسائي: «**إن الله يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا ينادي هل من داع فيستجاب له وهل من مستغفر فيغفر له وهل من سائل فيعطيه**»، هذه الرواية الصحيحة تفسر الرواية الأخرى، لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله تعالى ليبلغوا عنه عبّر الرسول عن ذلك بوحي من الله بعبارة «**ينزل ربنا**» إلى ءاخره؛ كلتا العبارتين أوحي بهما إليه، ولذلك نظير في القرءان قال الله تعالى في حق ءادم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ فإن

المعنى: أم الملك بلّغهما ذلك عن الله، وفي ذلك دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردّ اعتراض بعض المجسمة على رواية النسائي الصحيحة لحديث النزول، حيث إن بعض الزائغين قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له، وإنا نرد كلامه بقولنا: كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء مضافًا إليه بقوله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، كذلك يحمل حديث النزول في روايته المشهورة على رواية النسائي، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه «من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه»، بل المعنى أن الملك ينزل إلى السماء الدنيا بأمر الله ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه، كما أنه ليس معنى الآية أن ءادم وحواء سمعا ذاك من الله لأن ءادم لم يكن نبيًا في ذلك الوقت وحواء ليست نبية، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾، ليس معناه على ظاهر اللفظ، بل معنى الآية: فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومن هذا الذي يظن أن الله كان يقرأ على الرسول القرءان كما يقرأ المعلم على التلميذ؟! وبهذا التفسير يُحل الإشكال الذي يورده بعض هؤلاء الزائغين. وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في

زمانه بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» عن حديث النزول المذكور ءانفًا: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه: الأول: النزول من صفات الجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقل ومنتقَل عنه ومنتقل إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارًا من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: إن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين؛ انتهى.

وقال الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» ـ الذي فضح فيه سلف ابن تيمية في تشبيه الله بخلقه، وبيّن رحمه الله براءة الإمام أحمد رضي الله عنه من المشبهة ـ بعد أن ذكر حديث النزول ما نصه: «**إنه يستحيل على الله عزّ وجل الحركة والنقلة والتغير، وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن**

النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعًا». ثم قال الإمام ابن الجوزي: «قال ابن حامد - وهو أحد أسلاف ابن تيمية في التجسيم والتشبيه - هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل، قلت - أي ابن الجوزي - وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى، ومنهم - أي المشبهة - من قال يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق، وقد حكوا عن أحمد - أي ابن حنبل - ذلك وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته تعالى قديمة أي أزلية لأن الله أزلي لا بداية له وهو موصوف بصفات الكمال اللائقة به سبحانه أزلا وأبدًا لأنه تعالى منزه عن النقائص» اهـ.

وقد قال الإمام الفقيه أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرحه حديث النزول: «إن النزول الذي هو تَدَلٍّ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت هو صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده واستجابته دعائهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقال في موضع ءاخر: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» اهـ.

وقال في شرحه على سنن أبي داود رادًا على من وصف الله بالحركة: «**والله سبحانه لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله عز وجل متعال عنهما ليس كمثله شيء، وإنما ذكرت هذا لكي يُتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيرًا ولا يفيد رشدًا، ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بما لا يجوز من الفاسد محال**» اهـ.

وقد ذكر رحمه الله ذلك بعدما ذكر حديث النزول؛ ولا يخفى على من مارس شيئًا من علم الرجال أن أبا سليمان الخطابي من أئمة اللغة والفقه والحديث ووافقه في قوله صاحب لسان العرب حيث يقول في مادة «**نزل**» عند ذكره حديث النزول ما نصه: «**النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس؛ والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله عز وجل وافرة، وذلك مظنة القبول والإجابة**» اهـ.

وروى البيهقي عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه سئل عن حديث النزول فقال رضي الله عنه: «**النزول بلا كيف**».

وروى كذلك البيهقي عن المزني: «**إن المجيء والنزول صفتان**

منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لحديث النزول: «**إن من حمله على ظاهره وحقيقته هم المشبهة تعالى الله عن قولهم**»، ثم نقل عن البيضاوي أنه قال: «**ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه فالمراد نور رحمته**»، وأقره الحافظ ولم يتعقبه.

وقال القسطلاني في شرح البخاري[١] عند ذكره لهذا الحديث: «**هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله، فهو نزول معنوي**»، ثم قال: «**نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه**» اهـ.

ومثله قال أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي عند ذكر حديث النزول[٢].

ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية،

---

١) (٢/ ٣٢٣)

٢) (٢/ ٢٣٥)

وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ فخص موسى بوصف كليم الله؛ ومن هذا الباب أيضًا قوله تعالى في سورة ءال عمران: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾، فإن الله أضاف الكتابة إلى نفسه لأنه هو الآمر بها، أمر بها الكتبة من الملائكة وليس من صفات الله الكتابة أو القراءة كما سبق وبيناه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾، ثم إن خزنة جهنم من الملائكة هم الذين يقولون للكفار: ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ وليس المراد أنه تعالى يسمع الكفار كلامه الذاتي الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت، وإنما أضيف هذا القول إلى الله لأنه تعالى هو الذي أمر به كما ذكره المفسرون كالنسفي وغيره ولو أردنا تتبع هذا الباب لكان شيئًا كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾، فهل يفهمون من قوله تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا لَهُمۡ ﴾ في هذه الآية أن الله أسمع اليهود الذين مسخهم قردة كلامه الذاتي الأزلي كما أسمعه

موسى عليه السلام أم أنهم يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها ويقولون إن المراد «جعلناهم قردة خاسئين» وأن هذا مجاز كما في حاشية الشهاب على البيضاوي وغيره من كتب التفسير؛ وقد قال الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ما نصه: تكميل، ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الإسكندري المالكي في كتابه «شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرّر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ «لا تفضلوني على يونس بن متى» فقال مالك: إنما خص يونس بالتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جلّ جلاله نسبة واحدة؛ ثم بيّن رحمه الله أن الفضل بالمكانة لا بالمكان. ـ والمراد بهذا البحث إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة والحيّز -.

فائدة:

قال الإمام أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية: «فإن قيل أليس الله يقول ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فيجب الأخذ بظاهره، قلنا: الله يقول أيضًا ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ويقول تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾. فينبغي أيضًا أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطًا بالعالم محدقًا به بالذات في حالة واحدة، والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان. قالوا: قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ يعني بالعلم، «وبكل شيء محيط» إحاطة العلم قلنا: وقوله تعالى ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قهر وحفظ

وأبقى، ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيُّر واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول الرب بالعرش استوى، فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة ومنزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة. وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون ـ والعياذ بالله ـ: «نحن نأخذ بالظاهر ونحمل الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار الموهمة حدًا وعضوًا على الظاهر ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك» ويتمسكون (على زعمهم) بقول الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: وهؤلاء ـ والذي أرواحنا بيده ـ أضرّ على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به

السيل وهو لا يدري؛ وأما قول الله عز وجل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، إنما يريد به وقت قيام الساعة فإن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها، فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب فليس يعلم عواقب الأمور إلا الله عزّ وجلّ، ولهذا قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾، أي هل ينظرون إلا قيام الساعة، وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته ولا يعلم تأويله إلا الله، أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم، أليس الله يقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾، فإذًا على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال «بلسان عربي مبين» إذ لم يكن معلومًا عندهم إلا فأين هذا البيان؟! وإذا كان بلغة العرب فكيف يدعي أنه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيء عربيًا، فما قول في مقال مآله إلى تكذيب الرب سبحانه؟! ثم كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى فلو كان في كلامه وفيما يلقيه إلى أمته شيء لا يعلم تأويله إلا الله تعالى لكان للقوم أن يقولوا بيّن لنا أولا من تدعونا إليه وما الذي تقول فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير متأت، ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمر عظيم لا يتخيله مسلم، فإن الجهل بالصفات يؤدي إلى الجهل بالموصوف، والغرض أن يستبين من معه مسكة من العقل أن قول من يقول: «استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناه» تمويه ضمنه

تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل، وقد وضح الحق لذي عينين وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الإنكار في كل شيء وفي كل ءاية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى، فإن امتنع عن التأويل أصلا فقد أبطل الشريعة والعلوم إلا ما كان نحو قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن ثمّ أشياء لا بد من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملاحدة الذين قصدهم التعطيل للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدي إلى إبطال ما هو عليه من التمسك بالشرع بزعمه، وإن قال يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا مصير منه إلى أن ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالله وصفاته يجب التقاصي عنه وهذا لا يرضى به مسلم.

وسر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا فليقل المحقق هذا كلامٌ لا بد من استبيان، قولكم: نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض، إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر؟! ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون ءاخذًا بالظاهر وإن قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلا

فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق. وقد قيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ، فكأنه قال والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون ءامنا به فإن الإيمان بالشيء إنما يتصور بعد العلم أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت. ولهذا قال ابن عباس: «**أنا من الراسخين في العلم**» انتهى كلام القشيري.

ويؤيده قول رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب**» رواه ابن ماجه.

وقد ظهر مصداق دعوة النبي ﷺ لابن عباس حيث إنه - رضي الله عنهما - أوّل قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾، قال﴿بِأَيْي۟دٍ﴾ أي بقوة، رواه ابن أبي طلحة في صحيفته عن ابن عباس، وكذا أوّل ابن عباس قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال يوم يكشف عن كرب وشدة، رواه الخطابي في شرح صحيح البخاري والحاكم وصححه وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري.

اعلموا رحمكم الله أنه لا مانع لغة ولا شرعًا من تأويل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات

في غريب القرءان، والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ والزبيدي في تاج العروس شرح القاموس حيث نقل عن الراغب قوله: إن لفظ استوى متى عدّيَ بعلى اقتضى الاستيلاء، كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ اهـ. ونقله مقرًا له حيث لم يتعقبه وذكره الجوهري في الصحاح والرازي في مختاره وغيرهم كأبي بكر بن العربي المالكي والغزالي.

والسبكي الحافظ الإمام اللغوي النحوي حيث يقول: «**والمراد بالاستواء كمال الملك وهو مراد القائلين بالاستيلاء**»، ثم يقول السبكي: «**فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه**»، ثم يقول السبكي: «**إن الجلوس والقعود من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك، والله تعالى منزه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد له به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره. واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبدا، والعرش وما تحته حادث، فاتى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء**» اهـ. وأقره الزبيدي في شرح الإحياء حيث نقله.

وأما دعوى المجسمة أن تفسير استوى باستولى وقهر يقتضي سبق المغالبة فهو مردود بقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾، فلم توهم هذه الآية سبق المغالبة وحيث لا إيهام هنا فلا إيهام هناك.

وأما اعتراضهم على ذلك بقولهم «إن الله قاهر لكل شيء فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر»، فيرد عليهم بأن الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فلم يقتض ذلك أن الله ليس ربًا لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين». وقد نقل الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرءان أن الإمام أحمد أوّل قول الله «أو يأتي ربك» (الأنعام ١٥٨) قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾(النحل ٣٣).

فماذا ستقول الوهابية في الإمام أحمد الذي أوّل؟!

علماء السلف والخلف ينزهون الله عن النزول بالحركة والانتقال:

١ ـ الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه[٣]:

سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عن نزول الرب عزّ وجلّ، فقال (**ينزل أمره ـ تعالى ـ كل سَحَر، فأما هو عزّ وجلّ فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو**) اهـ.

٢ ـ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) صاحب

---

٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥)، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص/ ١٣٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٣٧)، الإنصاف لابن السيد البطليوسي (ص/ ٨٢).

السنن في كتابه «الأسماء والصفات» عند ذكر هذا الحديث[٤]:

«أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقوله المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» انتهى كلام البيهقي.

٣ ـ وروى البيهقي بإسناده عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال[٥]: «سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ ـ يعني

---

٤) السنن الكبرى، البيهقي ـ المجلد الثالث، ص٣.

٥) الأسماء والصفات، البيهقي ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ ص٥٦٨.

في النزول ـ فقلت له النزول بلا كيف».

٤ ـ قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) صاحب السنن: يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف فقد قال[٦]: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾. وقال﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (وقال)﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ اهـ.

٥ ـ القاضي أبو بكر محمد الباقلاني المالكي الأشعري (ت ٤٠٣هـ) قال ما نصه[٧]:

«ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى:

---

٦) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي ـ عالم الكتب، بيروت ـ ص٧٢.

٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ ص٦٤.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك» اهـ.

٦ ـ إمام الحرمين الجويني يقول في الإرشاد، أثناء كلامه عما روي بشأن النزول[٨]: وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغًا، لكنا نومئ إلى تأويل ما دوّن منها في الصحاح، فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له**» الحديث، ولا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشغل غيره فإنّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام والوجه حمل النزول وإن كان مضافًا إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين وذلك سائغ غير بعيد ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾.

معناه: إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه تخصيصًا.

٧ ـ الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت

٨) كتاب الإرشاد ص ١٥٠، ١٥١.

٦٧١هـ) قال في تفسيره ما نصه[٩]: «والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز».

٨ ـ رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة (ت ٧٢٧هـ) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» ما نصه[١٠]: «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدَثات ويحتاج إلى ثلاثة: أجسام منتقِل، ومنتقَل عنه ومنتقَل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارًا، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

---

٩) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي ـ سورة الفجر.

١٠) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة ـ دار السلام ١٤١٠ ـ ص ١٦٤.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين» انتهى كلام ابن جماعة.

٩ ـ الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» بعد ذكر حديث النزول ما نصه: «**إنه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والنقلة والتغيُّر. وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن وجسم سافل وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعًا**».

١٠ ـ الإمام البيضاوي قال[11]: «ما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد نزول رحمته، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى.

---

(١١) عمدة القاري (٧/ ٢٠٠).

وكذلك بعض كلام نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١١ ـ الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي قال ما نصه[١٢]: «ثم إن الذي يتشبث بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ أن ءادم وحواء التي لم تكن نبية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر، فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال:

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله».

١٢ ـ قال النووي في شرحه على صحيح مسلم[١٣]: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع

---

١٢) عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، ابن العربي ـ دار الفكر، بيروت ـ المجلد الثاني، ص٢٣٥.

١٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ـ المجلد السادس، ص٣٦.

اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما مراجعة فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف» انتهى كلام النووي.

ويبطل ما ذهبت إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة «يُنزل» بضم الياء وكسر الزاي فيكون المعنى نزول الملك بأمر الله الذي صرح به في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكًا بأن ينزل فينادي، فتبين أن المشبهة ليس لهم حجة في هذا الحديث.

١٣ ـ وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري[١٤]: «**وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعالِه لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه**». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وحكى ابن فورك أن بعض

١٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ المجلد الثالث ـ كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من ءاخر الليل.

المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزِل ملَكا قال الحافظ ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد «أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له» الحديث، وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ينادي مناد هل من داع يستجاب له... الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته» انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

١٤ ـ الإمام العيني في شرح صحيح البخاري قال أثناء كلامه عن حديث النزول[١٥]: «وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من ينزل يعني من الإنزال وذكر أنه ضبط عمن سمع منه من الثقات الضابطين، وكذا قال القرطبي قد قيده بعض الناس بذلك، فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي ينزل الله ملكًا، قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله عز وجل يمهل حتى يأتي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له**»، وصححه عبد الحق، وحمل صاحب المفهم على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيه: «يتنزل

١٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٩٩).

ربنا»، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية هنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وإليها يُرد «ينزل» على أحد التأويلات، ومعنى ذلك أنّ مقتضى عظمة الله وجلاله واستغنائه عن خلقه أن لا يعبأ بحقير ذليل، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولطفه، لأنَ يقول من يقرض غي عدوم ولا ظلوم، ويكون قوله «إلى السماء الدنيا» عبارة عن الحالة القريبة إلينا والدنيا، والله أعلم.

١٥ ـ وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث[١٦] «هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي» ثم قال «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعًا إلى ملَكه الذي ينزل بأمره ونهيه».

١٦ ـ الحافظ السيوطي قال في أثناء كلامه في شرح حديث النزول في «تنوير الحوالك»[١٧]: «فالمراد إذن نزول أمره أو الملك بأمره، وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه ينزل بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا».

١٧ ـ الإمام الزرقاني في شرحه على موطإ الإمام مالك نقل ما نقله

---

١٦) شرح صحيح البخاري، القسطلاني ـ المجلد؟، ص٣٢٣.

١٧) كتاب تنوير الحوالك (١ / ١٦٧).

ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه[١٨]: «وكذا حكي عن مالك أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل المِلك كذا أي أتباعه بأمره» انتهى كلام الزرقاني.

١٨ ـ الملا علي القاري الحنفي قال في مرقاة المفاتيح بعد أن نقل كلام النووي بشأنِ معنى حديث النزول وأقوال العلماء فيه وبكلامه، وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم من أئمتنا[١٩]: «يعلم أنّ المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا، هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء ءاخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي...

إلى أن قال: بل قال جمع منهم ومن الخلف: أنّ معتقد الجهة كافر

١٨) شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك، الزرقاني ـ دار الجيل، بيروت ـ (٢/ ٣٤٠).

١٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٢٩٩).

كما صرّح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني».

١٩ ـ الحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي قال في كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وفي كتاب «التيسير بشرح الجامع الصغير» ما نصه: «قيل المراد نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة»، ثم قال في «فيض القدير» ما نصه: «لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه تقدس فيه نزول معنوي» اهـ.

وختامًا، إليك أخي المؤمن هذه الخلاصة المهمة: لقد اتفق أهل التفسير أنَّ خيرَ ما يُفَسِّرُ النَّصَّ الواردَ النَّصُّ الواردُ؛ فخير ما يفسِّرُ النَّصَّ القرءانيَّ السياقُ، وخير ما يُفَسِّر الحديثَ الواردَ الحديثُ الواردُ، كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وخيرُ ما فَسَّرتَه بالواردِ كالدُّخِّ بالدُّخَان لابن صائِدِ

ومن هذه القاعدة الذهبية النفيسة ننطلق لبيان الآتي: الأحاديثُ الثلاثة التي يتمسك المشبهة بظاهرها، ويمنعون تأويلها لإثبات الجهة والحركة لله تعالى للعلماء في شرحها وتأويلها مسلك واضح يتفق مع تلك القاعدة، بل هو تطبيق لها، والتزام بها؛ وهذه الأحاديث الثلاثة هي: حديث الجارية، وحديث «**ارحموا من في الأرض**»، وحديث النزول.

- ففي حديث الجارية: على افتراض ثبوت رواية «أين الله»،

و«قالت: في السماء» يرى العلماء تأويله كما يلي:

١ ـ قول: «أين الله» دلالته: سؤال عن تعظيم الجارية لله تعالى، فلفظة (أين) في اللغة تستعمل لذلك، كقول عمرو بن العاص: «وأين معاوية من علي». ودليل هذا التأويل الرواية الأخرى للحديث في موطأ مالك: «أتشهدين أن لا إله إلا الله...»، ومعلوم أن شهادة أن لا إله إلا الله دلالتها إثبات تعظيم الله تعالى، لا إثبات الحيز والجهة والمكان له.

٢ ـ وقول: «في السماء» دلالته: أن الله عظيم القدر جدًّا. وهذا معروف في لغة العرب. ودليله قول الجارية وإقرارها: «أشهد أنْ لا إله إلا الله...».

فرواية مالك تفسر رواية مسلمٍ، على فرض ثبوتها. بذلك اللفظ.

- وفي حديث الرحمة: الذي يفسر رواية: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» روايةُ: «**يرحمكم أهل السَّماء**» التي رواها الحافظ العراقي، وإسنادها وأهل السماء ـ بالإجماع ـ هم الملائكة، فالله لا يقال له: أهل السماء. لذلك أوَّل العلماء رواية «من في السماء» بالملائكة.

- وفي حديث النزول: الذي يفسر لفظَ «ينزل ربُّنا» الوارد في رواية البخاري المشهورة، وروايات عدد من الأئمة، لفظ «يأمر ملكا» فينزل الملك بأمر الله، وهو الوارد في رواية النّسائي وهي «ثم يأمر مناديًا ينادي» وهذا المأمور المنادي هو غير الله بلا شك وهو الملك، وهي

ثابتة صحيحة.

فمعنى (ينزل ربُّنا): ينزل (ملكُ ربِّنا)، وهذا مجاز معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والأصول، والتفسير: بالمجاز العقلي ودليله الرواية الأخرى.

وبعدُ، فنقول كما قال الحافظ عبد الغني النابلسي: (رجز)

هذا هو الحق المبين الواضحُ وبالذي فيه الإنـاء ناضحُ

والحمدُ لله رب العالمين.





بيانِ الدلالة اللغوية للفظ (النُزول) من أقوال العلماء واللغويين والمفسرين، وأنه لا ينحصر في معاني الحركة والانتقال، بل يأتي بعدة معانٍ: حقيقةٍ ومجازيةٍ.

لِسانُ العَرَبْ

للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
ابن منظور الافريقي المصري

المجلد الحادي عشر

دار صادر
بيروت

نزل نزل

نصب المُنْزَّل لأنه مصدر .
وأنْزَلَه غيرُه واستنزله بمعنى ، ونزَّله تنزيلاً ، والتنزيل أيضاً : الترتيبُ . والتنزُّل : النُّزول في مُهْلة . وفي الحديث : إن الله تعالى وتقدَّس يَنزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ؛ النُّزول والصُّعود والحركة والسكونُ من صفات الأجسام ، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدَّس ، والمراد به نُزول الرحمة والألطاف الإلهية وقُرْبُها من العباد ، وتخصيصُها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقتُ التهجُّد وغفلة الناس عمَّن يتعرَّض لنفحات رحمة الله ، وعند ذلك تكون النيةُ خالصة والرغبةُ إلى الله عز وجل وافرة ، وذلك مَظِنَّة القبول والإجابة . وفي حديث الجهاد : لا تُنْزِلْهم على حُكْم الله ولكن أنزلهم على حُكْمِك أي إذا طلب العدوُّ منك الأمان والذِّمامَ على حكم الله فلا تُعْطِهم ، وأعطهم على حكمك ، فإنك ربما تخطىء في حكم الله تعالى أو لا تفي به فتأثم . يقال : نزلتُ عن الأمر إذا تركته كأنك كنت مستعلياً عليه مسترلياً .
ومكان نَزِل : يُنْزَل فيه كثيراً ؛ عن اللحياني .
ونَزَّل من عُلْوٍ إلى سُفْل : انحدر . والنِّزال في الحَرْب : أن يتنازَل الفريقان ، وفي المحكم : أن يَنْزِل الفريقان عن إبلهما إلى خَيْلِهما فيتضاربوا ، وقد تنازلوا .
ونَزالِ نَزالِ أي انْزِلْ ، وكذا الاثنان والجمعُ والمؤنثُ بلفظ واحد ، واحتاج الشاعر إليه فثقَّله فقال :

لقد عَلِمَتْ خيلٌ بِمُوقانَ أنَّني
أنا الفارسُ الحامي ، إذا قيل : نَزَّالُ[1]

الجوهري : ونَزالِ مثل قَطامِ بمعنى انْزِلْ ، وهو معدول عن المُنازَلة ، ولهذا أنَّثه الشاعر بقوله :

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتَ ، إذا
دُعِيَتْ نَزالِ ، ولُجَّ في الذُّعْرِ

قال ابن بري : ومثله لزيد الخيل :

وقد علمتْ سَلامةُ أن سَيْفي
كَرِيهٌ ، كلما دُعِيَتْ نَزالِ

وقال جُرَيبة الفقعسي :

عَرَضْنا نَزالِ ، فلم يَنْزِلوا ،
وكانت نَزالِ عليهم أطَمّ

قال : وقول الجوهري نَزالِ معدول من المُنازلة ، يدل على أن نَزالِ بمعنى المُنازلة لا بمعنى النُّزول إلى الأرض ؛ قال : ويقوّي ذلك قول الشاعر أيضاً :

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها ،
بسَليمِ أوْظِفةِ القَوائمِ هَيْكَلِ

فدَعَوْا : نَزالِ ! فكنتُ أولَ نازلٍ ،
وعَلامَ أرْكَبُه إذا لم أنْزِلِ ؟

وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلامَ أركبُه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ وكذلك قول الآخر :

فلِمْ أذْخَرُ الدَّهْماءَ عند الإغارةِ ،
إذا أنا لم أنْزِلْ إذا الخيل جالتِ ؟

فهذا بمعنى المُنازلة في الحرب والطِّراد لا غير ؛ قال : ويدلك على أن نَزالِ في قوله : فدعَوْا نَزالِ بمعنى المُنازلة دون النُّزول إلى الأرض قوله :

وعلامَ أركبُه إذا لم أنزِلِ ؟

أي ولِمَ أركبُه إذا لم أقاتل عليه أي في حين عدم قتالي عليه ، وإذا جعلت نَزالِ بمعنى النزول إلى الأرض

[1] قوله « لقد علمت خيل إلخ » هكذا في الأصل بضبط التكملة ، وأنشده ياقوت عند الكلام على موقان للشماخ ضمن أبيات يجمع بها غيره بلفظ :
ولقد علمت خيل بموقان أنه هو الفارس الحامي اذا قيل تنزال

مُشكل الحديث وبيانه

للإمام الحافظ أبي بكر بن فورك
المتوفى سنة ٤٠٦ هـ

تحقيق وتعليق
موسى محمد علي

عالم الكتب

فمن ذلك : النزول بمعنى الانتقال وذلك في قوله سبحانه .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾[1] على معنى النقلة والتحويل .

ومن ذلك النزول بمعنى الإعلام ، كقوله عز وجل :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[2] .

أي أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ .

والنزول أيضاً بمعنى القول والعبادة وذلك في قوله عز وجل .

﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[3] .

والنزول ايضا بمعنى الإقبال على الشيء وذلك هو المستعمل في قولهم والجاري في عرفهم ، وهو أنهم يقولون : إن فلانا اخذ بمكارم الأخلاق ثم نزل منها إلى سفاقها ، أي أقبل منها الى رديئها .

ومثله في نقصان الدرجة والمرقبة لأنهم يقولون :

نزلت منزلة فلان عن فلان عما كانت عليه إلى ما دونها إذا انحط قدره عنده .

ومن ذلك ايضا النزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قول الناس قد كنا في عدل وخير ، حتى نزل بنا بنو فلان الى حكمهم ، وكل ذلك في معنى النزول متعارف بين اهل اللغة غير مرفوع عندهم اشتراك معناه .

فأما قوله :

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٨ .

(٢) الآية : ١٩٣ ، ١٩٤ من سورة الشعراء .

(٣) الآية : ٩٣ من سورة الأنعام .

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾[١] .

فمن اهل التأويل من قال : معناه وخلقنا الحديد .

ومنهم من قال : إن الحديد أنزلناه على معنى النقل من علو الى اسفل .

فأما قوله :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾[٢] فان انزال القرآن ليس هو على معنى النقل والتحويل لإستحالة الانتقال على الكلام ، وإنما هو بمعنى الإعلام والإسماع والإفهام .

وقوله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

يكشف ايضاً على انه ليس كل نزول وإنزال ، نقل وتحويل ، بل ذلك لفظ مشترك المعنى ، قد يكون نقلا وتحويلا ، ويكون على غير هذا الوجه ايضاً ، على المتعارف والمعهود بين اهل اللغة ، وإذا كان اللفظ مشترك المعنى ، وجب الترتيب وإضافة ما يليق في المذكور والمضاف اليه على حسب ما يليق به ، ألا ترى أنه إذا اضيف الى السكينة لم يكن حركة ولا نقلة وإذا اضيف الى الكلام لم يكن ايضا تفريغ مكان وشغل مكان ، وإذا اريد به الحكم وتغير المرتبة فكذلك ، وإذا كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محمولا على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته وتغيير يلحقه أو نقص تمثيلا أو تحديداً ، وهو أن

(١) الآية : ٢٥ من سورة الحديد .

(٢) الآية : ٣ من سورة الدخان .

(٣) الآية : ٤ من سورة الفتح .

يكون على احد وجوه من المعاني .

أما ان يراد به إقباله على اهل الأرض بالرحمة والاستعطاف بالتذكير والتنبيه الذي يلقى في قلوب أهل الخير ، منهم من اسعده بتوفيقه لطاعته حتى يزعجهم الى الجد والانكماش في التوبة والإنابة والإقبال على الطاعة ، ووجدنا الله عز وجل قد خص بالمدح المستغفرين بالأسحار وقال في وصفهم ايضاً :

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾[2] .

فيحتمل أن يكون ذلك هو المراد به ، وهو الأخبار عما يظهر من الطاقه ومعونته وتأييده ولأهل ولايته في مثل هذا الوقت بالزواجر التي يقيمها في نفوسهم والمواعظ التي تنبههم بقوة الترغيب[3] والترهيب .

ويحتمل ان يكون ذلك فعلا يظهره بأمره فيضاف اليه ، كما يقال ضرب الأمير اللص ، ونادى الأمير في البلد اليوم ، وإنما أمر بذلك فيضاف اليه على معنى انه عن أمره ظهر وبأمره حصل ، وإذا كان ذلك محتملا في اللغة لم ينكر ان يكون لله عز وجل ملائكة يأمرهم بالنزول الى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء ، فيضاف ذلك الى الله عز وجل ، على الوجه الذي يقال ضرب الأمير اللص ، ونادى في البلاد .

وقد روى لنا بعض اهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ ، بما يؤيد هذا الباب ،

---

(١) الآية : ١٧ ، ١٨ من سورة الذاريات .

(٢) الآية : ١٧ من سورة آل عمران .

(٣) الترغيب في عمل الخير وثواب الجنة ، والترهيب من عمل الشر لأن الشر جزاؤه جهنم .

وهو بضم الياء « من ينزل » وذكر أنه قد ضبطه عمن سمعه عنه من الثقات الضابطين ، وإذا كان ذلك محفوظاً مضبوطاً كما قال فوجهه ظاهر ، ولما ذكرناه مما يحتمله من التأويل مؤيد شاهد .

ويحتمل ايضاً ان يكون على معنى أنهم يقولون .

ما زلنا في خير حتى نزل بنا بنو فلان على معنى نزول حكمهم وأمرهم ، فيكون تقدير التأويل ما قلنا فيه من الأخبار عما يفعله الله تعالى في كل ليلة من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير في الخير ، وزيادة في الدواعي الى الطاعة ، والإستعطاف لأهل العطف ، مع إنه إذا لم يخل ما اطلق عليه من هذا الوصف من أن يكون مما يلزم الذات لأجل فعل ، أو يكون مما يجب لأجل إفعال ، وبطل أن يكون ذلك مما يلزم الذات ، وجب أن يكون ذلك مما يوصف به من اجل فعل يفعله .

وقد روي لنا عن الأوزاعي رحمه الله ، انه سئل عن هذا الخبر فقال :

يفعل ما يشاء .

وهذا إشارة منه الى ان ذلك فعل يظهر منه عز ذكره .

وروي عن مالك بن انس انه قال في هذا الخبـر .

ينزل امره في كل شيء ، وأما هو جل ذكره فهو دائم لا يزول ، ولسنا ننكر تسمية الله تعالى بأسماء افعاله إذا ورد بها التوقيف بها كسائر ما يسمى لأجل الفعل مثل قوله :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾[1] .

وقوله :

---

(1) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

شرح صحيح البخاري

لابن بطّال

أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك

ضبط نصه وعلق عليه

أبو تميم ياسر بن إبراهيم

الجزء الثالث

مكتبة الرشد

الرياض

إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب / له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له » . [١/ق٢٠٥-ب]

قال ابن فورك [١] : [حجة] [٢] أهل البدع هذا الحديث وشبهه ، وقالوا : لا يمكن حمل شيء منه على تأويل صحيح من غير أن يكون فيه تشبيه أو تحديد أو وصف للرب - تعالى - بما لا يليق [به] [٣] وقد ورد التنزيل بمعنى هذا الحديث وهو قوله : ﴿ **وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾ [٤] و﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾ [٥] و﴿ **أتى الله بنيانهم من القواعد** ﴾ [٦] .

ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنزول إذا أضيف [جميع] [٣] ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته عزَّ وجلَّ .

فمن ذلك أنا وجدنا لفظة النزول في اللغة مستعملة على معانٍ مختلفة ، فمنها النزول بمعنى الانتقال والتحويل كقوله : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً** ﴾ [٧] ومنها النزول بمعنى الإعلام كقوله : ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾ [٨] أي أعلم به الروحُ الأمين محمداً - عليه السلام .

ومنها النزول بمعنى القول في قوله تعالى : ﴿ **سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾ [٩] أي سأقول مثل ما قال ، ومنها النزول بمعنى الإقبال على الشيء ، وذلك هو المستعمل في كلامهم الجاري في عرفهم ، وهو

---

(١) ابن فورك متجهم ، حذا حذو ابن الثلجي في كتابه الذي صنفه في تحريف أحاديث الصفات والطعن فيها ، فلا يلتفت إلى قوله الآتي ، والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وغيره من أحاديث الصفات على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى ، وإمرار ذلك من غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وهذا هو الطريق الأسلم والأعلم والأحكم ، فتنبه .

(٢) من « هـ » وفي « الأصل » : عند .

(٣) من « هـ » .

(٤) الفجر : ٢٢ .

(٥) البقرة : ٢١٠ .

(٦) النحل : ٢٦ .

(٧) الفرقان : ٤٨ .

(٨) الشعراء : ١٩٣ .

(٩) الأنعام : ٩٣ .

أنهم يقولون : نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دنيّها ، أي أقبل إلى دنيها ، ونزل قدر فلان عند فلان [أي] (١) انخفض .

ومنها النزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قولهم : كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان ، أي حكمهم . وكل ذلك متعارف عند أهل اللغة ، وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة المعنى فينبغي حمل ما وصف به الرب - تعالى - من النزول على ما يليق به [من بعض هذه المعاني] (٢) .

إما أن يراد به إقباله على أهل الأرض بالرحمة والتنبيه الذي يلقى في قلوب أهل الخير منهم ، والزواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطاعة ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلا يظهر بأمره ، فيضاف إليه ، كما يقال : ضرب الأمير اللص ، ونادى الأمير في البلد، وإنما أمر بذلك ، فيضاف إليه الفعل على معنى أنه عن أمره ظهر، وإذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنزول إلى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء ، فيضاف إلى الله ، وقد روي هذا التأويل في بعض طرق هذا الحديث ، روى النسائي قال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثنا أبو مسلم ، عن الأغر قال : سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري يقولان : قال رسول الله : « إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا ينادي [يقول](٢) : هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له ، هل من سائل يعطى».

وقد سئل الأوزاعي عن معنى هذا الحديث [فقال] (٢) : يفعل الله ما يشاء . وهذه إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه تعالى .

---

(١) من « هـ » وفي « الأصل » : إذا . (٢) من « هـ » .

وقد روى حبيب عن مالك أنه قال في هذا الحديث : ينزل أمره ورحمته . وقد رواه غير حبيب عنه ، وروى محمد بن علي البجلي بالقيروان قال : حدثنا جامع بن سوادة قال : حدثنا مطرف ، عن مالك بن أنس أنه سئل عن هذا الحديث فقال : ذلك تنزل أمره .

وقد سئل بعض العلماء عن حديث النزول فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أفل النجم : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ [1] فطلب ربا لا يجوز عليه الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النزول ، وقد مدحه الله بذلك وأثنى عليه في كتابه فقال : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [2] فوصفه (لأنه) [3] - بقوله هذا - موقن .

وفي حديث أبي هريرة أن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، وقال تعالى : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [4] وروى محارب بن دثار ، عن عمه : « أنه كان يأتي المسجد في السحر فيمر بدار ابن مسعود فيسمعه : اللهم إنك أمرتني فأطعت ، ودعوتني فأجبت ، وهذا السحر فاغفر لي . فسئل ابن مسعود عن ذلك فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله : ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾ [5] » .

وروى الجريري « أن داود - عليه السلام - سأل جبريل : أي الليل أسمع؟ فقال : لا أدري ، غير أن العرش يهتز في السحر » [وقوله: أسمع] [6] يريد أنها أرفع للسمع ، والمعنى أنها أولى بالدعاء وأرجى للاستجابة ، وهذا كقول ضماد حين عَرَض عليه رسول الله الإسلام فقال : سمعت كلامًا [لم أسمع] [6] قط أسمع منه يريد أبلغ منه ولا أنجع في القلب . عن الخطابي .

---

(١) الأنعام : ٧٦ . (٢) الأنعام : ٧٥ .
(٣) هكذا في « الأصل » و« هـ » ، والأقرب أن يكون الصواب : بأنه .
(٤) الذاريات : ١٨ . (٥) يوسف : ٩٨ (٦) من « هـ » .



في

قطع حجج أهل التعطيل

تأليف

الشيخ الإمام العالم العلامة الفارق العابد القدوة الصالحة قاضي المسلمين

محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة

الشهير ببدر الدين بن جماعة

رحمه الله تعالى

٦٣٩ - ٧٣٣ للهجرة

٧٢٢

حققه وعلق عليه

وهبي سليمان غاوجي الألباني

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الحديث الرابع :

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر »[١] . الحديث . ورواه أبو سعيد : « إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث

---

(١) تامه : « فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » . رواه الستة إلا النسائي . ولفظ : « إن الله يمهل » . رواه مسلم في كتاب المسافرين ، والبخاري في الدعوات (١٤) وأحمد (٢ / ٢٥٨ ، ٤٣٣) . قال الحافظ أبو بكر بن فورك : واعلم أنه لا فرق بين الإتيان والمجيء ، والنزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي تتحرك وتنتقل وتحاذي مكانًا ، أن جميع ذلك يعقل من ظاهرها المعنى الذي هو الحركة والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل مكان ، وإذا أضيف إلى مالا يليق به الانتقال من مكان إلى مكان لاستحالة وصفه بأنه جوهر أو جسم أو محدود أو متناهي أو متكن أو مماس ، ولم يصح ذلك في وصفه كان معنى ما يضاف إليه من الإتيان والمجيء على حسب ما يليق بنعته وصفته إذا ورد به الكتاب ، وكذلك إذا أضيف النزول إليه وورد به الخبر الصحيح الموثق بروايته ونقله وصحته في باب أنه يحمل على نحو ما حمل عليه معنى المجيء والإتيان إذا ذكرا في أوصافه في الكتاب وإذا كان ذلك كذلك تأملنا معنى ما ورد في هذا الخبر من لفظ (النزول) ونزلناه على الوجه الذي يليق بوصفه ، وعلى المعنى الذي لا ينكر استعمال مثله في اللسان في مثل معناه ، ولا أن يرد الخبر بمثله . فمن ذلك أنا وجدنا لفظة (النزول) في اللغة مستعملة على معان مختلفة ، ولم تكن هذه اللفظة مما يختص أمرًا واحدًا حتى لا يمكن العدول عنه إلى غيره ، بل وجدناه مشترك المعنى واحتمل التأويل والتخريج والترتيب : فمن ذلك (النزول) بمعنى الانتقال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورًا ﴾ على معنى النقلة والتحويل ، ومن ذلك (النزول) بمعنى الإعلام ، كقوله عز وجل : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ أي أعلم به الروح الأمين محمدًا ﷺ . و (النزول) أيضًا بمعنى القول والعبارة ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ . و (النزول) أيضًا بمعنى الإقبال على الشيء ، وذلك هو المستعمل في قولهم ، والجاري في عرفهم ، وهو أنهم يقولون : إن فلانًا أخذ بمكارم الأخلاق ثم نزل منها إلى سفسافها ، أي أقبل منها إلى رديئها (ومثله) في نقصان الدرجة والرتبة لأنهم يقولون : نزلت منزلة فلان عند فلان عما كانت عليه إلى ما دونها ، إذا انحط قدره عنده . (من ذلك النزول) بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قول الناس : قد كنا في عدل وخير حتى نزل بنا بنو فلان إلى حكمهم . وكل ذلك في معنى (النزول) متعارف بين أهل اللغة غير مدفوع عندهم اشتراك معناه . ثم قال بعد كلام : وإذا كان اللفظ مشترك المعنى وجب الترتيب وإضافة ما يليق في المذكور المضاف إليه على حسب ما يليق به ، ألا ترى إنه إذا أضيف إلى السكينة — في قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ — لم يكن حركة ولا نقلة ، وإذا أضيف إلى الكلام لم يكن أيضًا تفريغ مكان وشغل مكان ، وإنما أريد به الحكم وتغير الرتبة فكذلك . وإذا كان ذلك كذلك كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محمولاً على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي له مالا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته وتغيير يلحقه أو نقص تنزيلاً أو تحديدًا ، وهو أن يكون على أحد وجوه من المعاني : إما أن يراد إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف والتذكير والتنبيه الذي يلقى في قلوب أهل الخير منهم .. إلخ . مشكل الحديث وبيانه ص ٧٦ ، ٢٤٧ . وقال الإمام العيني في شرح البخاري : إذا أضيف المجيء والإتيان والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره يحمل على ذلك ، وإذا أضيف إلى مالا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى . (فالنزول) لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة : بمعنى الانتقال كما في قوله تعالى : =

الليل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول هل من تائب يتوب » .

اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه ؛ لوجوه :

الأول : النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة : أجسام ، منتقل ، ومنتقل عنه ومنتقل إليه ، وذلك على الله تعالى محال .

الثاني : لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله ، وتنقلات كثيرة ؛ لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا ، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهارًا ، من قوم إلى قوم ، وعودة إلى العرش في كل لحظة على قولهم ، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل [1] .

= ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورًا ﴾ وبمعنى الإعلام نحو قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ أي أعلم به الروح الأمين محمدًا ﷺ . وبمعنى القول نحو : ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ أي سأقول مثل ما قال . وبمعنى الإقبال على الشيء ، تقول العرب : فلان بمكارم الأخلاق ثم نزل إلى سفسافها . وبمعنى نزول الحكم . وكل ذلك متعارف عند أهل اللغة . وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب من النزول على ما يليق به من هذه المعاني وهو إقباله على أهل الأرض بالرحمة . اهـ . (٣ / ٦٢٣) .

(١) قال أبو سليمان الخطابي في حديث النزول : وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث ممن يُرجع إلى معرفته بالحديث والرجال ، فحاد عن هذه الطريقة ــ طريقة السلف ــ حين روى حديث النزول ؛ أقبل على نفسه فقال : إن قال قائل : كيف ينزل ربنا إلى السماء ؟ قيل له : ينزل كيف يشاء . فإن قال : هل يتحرك إذا نزل ؟ فقال : إن شاء يتحرك ، وإن شاء لم يتحرك . وهذا خطأ فاحش عظيم ، والله تعالى لا يوصف بالحركة ، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد ، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون ، وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين ، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ، فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش . قال : وإنما ذكرت هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع فإنه لا يثمر خيرًا ولا يفيد رشدًا . ونسأل الله العصمة من الضلال ، والقول بما لا يجوز من الفاسد والمحال . الأسماء والصفات : ٤٥٤ . وانظر مشكل الحديث لابن فورك ص ١٨٩ ، ١٩١ . وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكًا ، ويقويه حديث النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول : هل من داع فيستجاب له ؟ » الحديث . وصححه عبد الحق . بل هذا الحديث يعين أن الإسناد مجازي في صيغ الثلاثي « ينزل » من روايات الحديث فيخرج الحديث من أن يكون من الأحاديث المتشابهة ، على أن شطر الليل وثلثه مما يختلف باختلاف المطالع والمغارب ، كما يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه . فثبت أن ذلك فتح باب القبول لأهل كل أفق . وأما من جعل ذلك نقلة فقد جسم وخالف البرهان العقلي

١٦٥

الثالث : أن القائل بأنه فوق العرش ، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا ، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة [1] ، فيلزم عليه أحد أمرين : إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه ، أو تضاؤل الذات المقدسة عن ذلك حتى تسعه ، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين .

الرابع : إن كان المراد بالنزول استماع الخلق إليه ، فذلك لم يحصل باتفاق ، وإن كان المراد به النداء من غير إسماع فلا فائدة فيه ، ويتعالى الله عن ذلك .

إذا ثبت ذلك ، فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بذلك النزول ، مع قطعهم بأن مالا يليق بجلاله تعالى غير مراد (و) تنزيهه عن الحركة والانتقال .

قال الأوزاعي : وقد سئل عن ذلك فقال : يفعل الله ما يشاء [2] .

كما جرى لموسى عليه السلام مع ملك الموت لما فقأ عينه [3] .

= والدليل الشرعي ، وضرورة الحس . راجع الفصل لابن حزم ، وشرح البخاري للعيني عن الأسماء والصفات تعليقًا ص ٤٥٠ .

(١) قال رسول الله ﷺ لأبي ذر : « يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » . رواه البيهقي ، وقال : تفرد به يحيى بن سعيد السعدي . قال المعلق : هو منكر الحديث لا يحتج به إذا انفرد ، وقد انفرد به عن ابن جريج ، وكذلك شأن الرواية الثانية . فيه . الأسماء والصفات ٤٠٥ .

(٢) بعد هذه العبارة نقص بمقدار ورقة كاملة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) أرى هذا هو الحديث الخامس ، رواه مسلم في الفضائل (١٥٨) ، ولفظه : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك . قال : فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها . قال : فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني . قال : فردّ الله عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن من قريب ، رب أمتني من الأرض المقدسة رمية حجر » . قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » . مسلم في فضائل موسى عليه السلام ، وأحمد (٢ / ٣١٥) . قال ابن قتيبة بعد ذكر هذا الحديث . ونحن نقول إن هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث وأحسب له أصلاً في الأخبار القديمة ، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظر ، ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام ، وهذا ملك الله وهذا نبي الله ، وجاذبه لطمه موسى لطمة أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل ، وليست حقيقة ، وعاد ملك الموت عليه السلام إلى حقيقته خلقته الروحانية كما كان لم ينتقص منه شيء . اهـ تأويل مختلف الحديث ص ٢٥٨ ، وانظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ١٤٧ . وانظر النووي على مسلم في فضائل موسى عليه السلام والأسماء والصفات ص ٤٦٢ .

عُمدةُ القارِي
شرح
صَحِيح البُخَارِي

تأليف
الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

ضبطه وصححه
عبد الله محمود محمد عمر

طبعة جديدة مرقمة الكتب والأبواب والأحاديث
حسب ترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف

الجزء السابع

يحتوي على الكتب التالية:
الوتر - الاستسقاء - الكسوف - سجود القرآن - تقصير الصلاة - التهجد
فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - العمل في الصلاة - السهو
من الحديث (٩٩٠) - إلى الحديث (١٢٣٦)

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رواية من لم يعين الوقت فلا تعارض بينها وبين من عين، وأما من عين الوقت واختلفت ظواهر رواياتهم فقد صار بعض العلماء إلى الترجيح، كالترمذي على ما ذكرنا، إلاَّ أنه عبر بالأصح، فلا يقتضي تضعيف غير تلك الرواية لما تقتضيه صيغة: أفعل، من الاشتراك. وأما القاضي عياض فعبر في الترجيح بالصحيح، فاقتضى ضعف الرواية الأخرى، ورده النووي بأن مسلماً رواها في (صحيحه) بإسناد لا يطعن فيه عن صحابيين، فكيف يضعفها؟ وإذا أمكن الجمع ولو على وجه فلا يصار إلى التضعيف. وقال النووي: ويحتمل أن يكون النبي، ﷺ، أعلم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به، ثم أعلم بالآخر في وقت آخر فأعلم به، وسمع أبو هريرة، رضي الله تعالى عنه، الخبرين فنقلهما جميعاً، وسمع أبو سعيد الخدري، رضي الله تعالى عنه، خبر الثلث الأول فقط، فأخبر به مع أبي هريرة كما رواه مسلم في الرواية الأخيرة، وهذا ظاهر.

ذكر تعدد موضعه ومن أخرجه غيره: أخرجه البخاري أيضاً في التوحيد عن إسماعيل ابن عبد الله، وفي الدعوات عن عبد العزيز بن عبد الله. وأخرجه مسلم في الصلاة عن يحيى ابن يحيى. وأخرجه أبو داود فيه وفي السنة عن القعنبي. وأخرجه الترمذي فيه عن قتيبة. وأخرجه النسائي في النعوت عن محمد بن سلمة عن ابن القاسم عن مالك به، في اليوم والليلة عن أبي داود الحراني. وأخرجه ابن ماجه في الصلاة عن أبي مروان محمد بن عثمان العثماني.

ذكر من أخرجه من غير أبي هريرة: قال الترمذي، بعد أن أخرج هذا الحديث عن أبي هريرة: وفي الباب عن علي بن أبي طالب، وأبي سعيد ورفاعة الجهني وجبير بن مطعم وابن مسعود وأبي الدرداء وعثمان بن أبي العاص. قلت: وفي الباب، عن جابر بن عبد الله وعبادة بن الصامت وعقبة بن عامر وعمرو بن عبسة وأبي الخطاب وأبي بكر الصديق وأنس ابن مالك وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبي ثعلبة الخشني وعائشة وابن عباس ونواس ابن سمعان وأم سلمة وجد عبد الحميد بن سلمة.

أما حديث علي، رضي الله تعالى عنه، فأخرجه الدارقطني في كتاب (السنة) من طريق محمد بن إسحاق عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ولأخرت العشاء الآخرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر، فيقول القائل: ألاَ سائل يعطى سؤاله؟ ألاَ داع يجاب؟» ورواه أحمد في (مسنده)، ورواه الدارقطني أيضاً من طريق أهل البيت من رواية الحسين بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي، رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «إن الله **ينزل في كل ليلة جمعة من أول الليل إلى آخره إلى سماء الدنيا، وفي سائر الليالي من الثلث الأخير من الليل فيأمر ملكاً ينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر**. وني

إسناده من يجهل.

وأما حديث أبي سعيد فأخرجه مسلم والنسائي في اليوم والليلة من رواية الأغر أبي مسلم «عن أبي سعيد وأبي هريرة: إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول ينزل إلى سماء الدنيا...» الحديث.

وأما حديث رفاعة الجهني، فرواه ابن ماجه من رواية عطاء بن يسار عنه قال: قال النبي، ﷺ: «**إن الله يمهل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثه، قال: لا يسأل عن عبادي غيري**» الحديث، ورواه النسائي في اليوم والليلة عنه.

وأما حديث جبير بن مطعم فرواه النسائي في اليوم والليلة عنه: أن رسول الله، ﷺ، قال: «**إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**» ورواه أحمد في (مسنده) من هذا الوجه وزاد: «حتى يطلع الفجر».

وأما حديث ابن مسعود فأخرجه أحمد من رواية أبي إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن ابن مسعود: أن رسول الله، ﷺ، قال: «**إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله، عز وجل، إلى سماء الدنيا، ثم تفتح أبواب السماء، ثم يبسط يده فيقول: هل من سائل يعطى سؤاله؟ ولا يزال كذلك حتى يسطع الفجر**».

وأما حديث أبي الدرداء فرواه الطبراني في (معجمه الكبير) و(الوسط) من رواية زياد ابن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء، قال: قال ﷺ: «ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، وينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها إلاَّ الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألاَ مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألاَ سائل يسألني فأعطيه؟ ألاَ داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر؟ قال الله تعالى: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٨]. فيشهده الله وملائكته»، قال الطبراني: وهو حديث منكر.

وأما حديث عثمان بن أبي العاص فرواه أحمد والبزار من رواية علي بن زيد عن الحسن عن عثمان ابن أبي العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي منادٍ كل ليلة: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى يطلع الفجر»، ورواه الطبراني في (الكبير) بلفظ: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ...» فذكره.

وأما حديث جابر فرواه الدارقطني في (كتاب السنة) وأبو الشيخ ابن حبان أيضاً في (كتاب السنة) من رواية عبد الرحمن بن كعب بن مالك «عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا لثلث الليل فيقول: ألاَ عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألاَ مقتر عليه فأرزقه؟ ألاَ مظلوم

يستعز بي فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفك عنه؟ فيكون ذلك مكانه حتى يضيء الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه»، وهو حديث منكر، في إسناده محمد بن إسماعيل الجعفري، يرويه عن عبد الله بن سلمة بن أسلم، بضم اللام، والجعفري منكر الحديث، قاله أبو حاتم، وعبد الله بن سلمة ضعفه الدارقطني، وقال أبو نعيم: متروك.

وأما حديث عبادة بن الصامت فرواه الطبراني في (المعجم الكبير) و(الأوسط) من رواية يحيى بن إسحاق «عن عبادة، قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل ربنا، تبارك وتعالى، إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول: ألا عبد من عبادي؟...» الحديث نحو حديث جابر، وفي آخره، حتى يصبح الصبح ثم يعلو، عز وجل، على كرسيه»، وفي إسناده فضيل بن سليمان النميري، وهو وإن أخرج له الشيخان فقد قال فيه ابن معين ليس بثقة.

وأما حديث عقبة بن عامر فرواه الدارقطني من رواية يحيى بن أبي كثير عنه، قال: «أقبلنا مع النبي ﷺ فقال: إذا مضى ثلث الليل، أو قال نصف الليل، ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي أحداً غيري»، قال الدارقطني: وفيه نظر.

وأما حديث عمرو بن عنبسة فرواه الدارقطني أيضاً في (كتاب السنة) من رواية جرير ابن عثمان، قال: حدثنا سليم بن عامر بن عمرو بن عنبسة، قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله...» الحديث، وفيه: «إن الرب، عز وجل، يتدلى من جوف الليل»، زاد في رواية الآخر: «فيغفر إلا ما كان من الشرك»، زاد في رواية: «والبغي والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس».

وأما حديث أبي الخطاب فرواه عبد الله بن أحمد في (كتاب السنة) بإسناده «عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو الخطاب، أنه سأل النبي ﷺ عن الوتر، فقال: أحب إلي أن أوتر نصف الليل، إن الله يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من داع؟ حتى إذا طلع الفجر ارتفع». قال أبو أحمد الحاكم وابن عبد البر أبو الخطاب، له صحبة ولا يعرف اسمه.

ذكر معناه: قوله: «ينزل»، بفتح الياء، فعل مضارع: والله، مرفوع به. وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من: ينزل، يعني: من الإنزال. وذكر أنه ضبط عمن سمع منه من الثقات الضابطين. وكذا قال القرطبي: قد قيده بعض الناس بذلك فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي: ينزل الله ملكاً. قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله، عز وجل، يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له..؟» الحديث، وصححه عبد الحق وحمل صاحب (المفهم) الحديث على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيها: «يتنزل ربنا»، بزيادة: تاء، بعد: ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية عنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وإليها يرد

الرابع: أن الجمهور سلكوا في هذا الباب الطريق الواضحة السالمة، وأجروا على ما ورد مؤمنين به منزهين لله تعالى عن التشبيه والكيفية، وهم: الزهري والأوزاعي وابن المبارك ومكحول وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم من أئمة الدين. ومنهم الأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد. قال البيهقي في (كتاب الأسماء والصفات): قرأت بخط الإمام أبي عثمان الصابوني، عقيب حديث النزول: قال الأستاذ أبو منصور - يعني الجمشاذي: وقد اختلف العلماء في قوله: «ينزل الله»، فسئل أبو حنيفة فقال: بلا كيف، وقال حماد بن زيد: نزوله إقباله. وروى البيهقي في (كتاب الاعتقاد) بإسناده إلى يونس بن عبد الأعلى، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: لا يقال للأصل: لِمَ ولا كيف، وروى بإسناده إلى الربيع بن سليمان، قال: قال الشافعي: الأصل كتاب أو سنة أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ أو إجماع الناس. **قلت:** لا شك أن النزول انتقال الجسم من فوق إلى تحت، والله منزه عن ذلك، فما ورد من ذلك فهو من المتشابهات، فالعلماء فيه على قسمين: **الأول:** المفوضة: يؤمنون بها ويفوضون تأويلها إلى الله، عز وجل، مع الجزم بتنزيهه عن صفات النقصان. **والثاني:** المؤولة: يؤولون بها على ما يليق به بحسب المواطن، فأولوا بأن معنى: ينزل الله: ينزل أمره أو ملائكته، وبأنه استعارة، ومعناه: التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحو ذلك، وقال الخطابي: هذا الحديث من أحاديث الصفات، مذهب السلف فيه الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنه: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقال القاضي البيضاوي، لما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد دنو رحمته، وقد روي: يهبط الله من السماء العليا إلى السماء الدنيا، أي: ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأراذل وقهر الأعداء والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الإكرام للرأفة والرحمة والعفو، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى. فالنزول: لغة، يستعمل لمعان خمسة مختلفة: بمعنى الانتقال: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ [الفرقان: ٤٨]. و: الإعلام ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣]. أي: أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ، وبمعنى: القول ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ [الأنعام: ٩٣]. أي سأقول مثل ما قال، والإقبال على الشيء، وذلك مستعمل في كلامهم جار في عرفهم، يقولون: نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دنيها، ونزل قدر فلان عند فلان إذا انخفض، وبمعنى: نزول الحكم، من ذلك قولهم: كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان، أي: حكم، وذلك كله متعارف عند أهل اللغة: وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب، جل جلاله، من النزول على ما يليق به من بعض هذه المعاني، وهو: إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستيقاظ بالتذكير والتنبيه الذي يلقى في



تأليف
الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك
القشيري النيسابوري الشافعي
المتوفى سنة ٤٦٥هـ

وضع حواشيه وعلق عليه
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء الثالث

المحتوى:
أول سورة الروم - آخر سورة الناس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قوله جل ذكره: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

أي أرسلناهم مُؤيَّدين بالحُجَجِ اللائحة والبراهين الواضحة، وأزَحْنا العِلَّةَ لِمَنْ أراد سلوكَ الحُجَّةِ المُثْلى، ويَسَّرنا السبيل على مَنْ آثَرَ اتباعَ الهُدَى. وأنزلنا معهم الكُتُبَ المُنَزَّلَة، و﴿الميزان﴾: أي الحُكْمَ بالقرآن، واعتبار العَدْلِ والتسويةِ بين الناس.

﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: فلا يَظْلِمُ أحدٌ أحداً.

قوله جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿أنزلنا الحديد﴾: أي خلقنا الحديد.

ونصرة الله هي نصرةُ دينه، ونصرةُ الرسولِ باتِّباعِ سُنَّتِه.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أقوى من أن يُنَازِعَه شريكٌ، أو يضارِعَه في المُلْكِ مليك، وأعزُّ من أن يحتاج إلى ناصر.

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

أي: أرسلنا نوحاً، ومن بعده إبراهيم، وجعلنا في نَسْلِهِما النبوّة والكتاب.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾.

أي: مستجيبٌ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

خرجوا عن الطاعة.

قوله جل ذكره: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

أي: أرسلنا بعدهم عيسى ابن مريم.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾.

بيَّن أنّه لم يأمرهم بالرهبانيّة[1] بل هم الذين ابتدعوها ثم قال:

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾.

---

(١) الرهبانية: مصدر الراهب، والاسم الرهبانية من الرهبة: الخوف؛ فالنصارى كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتى أن منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه. (لسان العرب ١/ ٤٣٧، ٤٣٨ مادة: رهب).

تفسير البغوي

المسمى معالم التنزيل

للإمام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي الشافعي
المتوفى ٥١٦ هجرية

إعداد وتحقيق
خالد عبد الرحمن العك مروان سوار

الجزء الرابع

دار المعرفة
بيروت. لبنان

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾

[٢١] ﴿ سابقوا ﴾ ، سارعوا ، ﴿ إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ ، لو وُصل بعضها ببعض ، ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ، فبين أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله .

[٢٢] قوله عزّ وجلّ : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ ، يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ، ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ ، يعني الأمراض وفقد الأولاد ، ﴿ إلا في كتاب ﴾ ، يعني اللوح المحفوظ ، ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ ، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس . قال ابن عباس : من قبل أن نبرأ المصيبة . وقال أبو العالية : يعني النسمة ، ﴿ إنّ ذلك على الله يسير ﴾ ، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عزّ وجلّ .

[٢٣] ﴿ لكيلا تأسَوْا ﴾ ، تحزنوا ، ﴿ على ما فاتكم ﴾ ، من الدنيا ، ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ ، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله ﴿ فاتكم ﴾ فجعل الفعل له ، وقرأ الآخرون ﴿ آتاكم ﴾ بمد الألف ، أي : أعطاكم . قال عكرمة : ليس أحد إلاّ وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً . ﴿ والله لا يحب كل مختال ﴾ ، متكبر بما أوتي من الدنيا ، ﴿ فخور ﴾ ، يفخر به على الناس. قال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت ، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت .

[٢٤] ﴿ الذين يبخلون ﴾ ، قيل : هو في محل الخفض على نعت المختال . وقيل : هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده . ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول ﴾ ، أي يعرض عن الإيمان ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ ، قرأ أهل المدينة والشام : ﴿ فإن الله الغني ﴾ ، بإسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم .

[٢٥] قوله عزّ وجلّ : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ ، بالآيات والحجج ، ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴾ ، يعني العدل . وقال مقاتل بن سليمان : هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال : ﴿ والسماء رفعها ﴾ ، بأن وضع ﴿ الميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ ، ليتعاملوا بينهم بالعدل ، ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾ ، وروي عن ابن عمر يرفعه : إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح ، وقال أهل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

المعاني معنى قوله : ﴿ أنزلنا الحديد ﴾ ، أنشأنا وأحدثنا ، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه . وقال قطرب : هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلاً حسناً فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلاً لهم . ومثله قوله : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ . ﴿ فيه بأس شديد ﴾ ، قوة شديدة يعني السلاح للحرب . قال مجاهد : فيه جنة وسلاح يعني آلة وآلة الضرب ، ﴿ ومنافع للناس ﴾ ، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة ، ﴿ وليعلم الله ﴾ ، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله ، ﴿ مَنْ ينصره ﴾ ، أي دينه ، ﴿ ورسله بالغيب ﴾ ، أي قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب . ﴿ إن الله قويٌ عزيز ﴾ ، قوي في أمره عزيز في ملكه .

٢٧ ـ] ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون * ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ ، على دينه ، ﴿ رأفة ﴾ ، وهي أشد الرقة ، ﴿ ورحمة ﴾ ، كانوا متوادين بعضهم لبعض ، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ : ﴿ رحماء بينهم ﴾ ، ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ ، من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال : وابتدعوا رهبانية أي جاءوا بها من قبل أنفسهم ، ﴿ ما كتبناها ﴾ ، أي ما فرضناها ، ﴿ عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ﴾ ، يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال ، ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ ، أي لم يرعو الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهب ، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ﴾ ، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة ، ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ ، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنبأني عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصعق بن حرب عن عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنين وسبعين فرقة نجا

زاد المسير في علم التفسير

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي
ولد ٥٠٨ وتوفي ٥٩٦
رحمه الله تعالى

الجزء الثامن

المكتب الإسلامي

وقرأ نافع وابن عامر « فإن الله الغني الحميد » ليس فيها « هو » ، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة ، والشام .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي : بالآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) بيان الشرائع ، والأحكام . وفي « الميزان » قولان .

أحدهما : أنه العدل ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنه الذي يوزن به ، قاله ابن زيد ومقاتل . فعلى القول الأول : يكون المعنى : وأمرنا بالعدل . وعلى الثاني : ووضعنا الميزان ، أي : أمرنا به (ليقوم الناس بالقسط) أي : لكي يقوموا بالعدل .

قوله تعالى : (وأنزلنا الحديد) فيه قولان .

أحدهما : أن الله تعالى أنزل مع آدم السندان ، والكلبتين ، والمطرقة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن معنى « أنزلنا » : أنشأنا وخلقنا ، كقوله تعالى : (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) [الزمر : ٦] .

قوله تعالى : (فيه بأس شديد) قال الزجاج : وذلك أنه يُمتنع به ، ويُحارَب به (ومنافع للناس) في أدواتهم ، وما ينتفعون به من آنية وغيرها[1] .

---

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي : وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ، قال : ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى اليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان



الحافظ

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤هـ

المجلد السادس

دار ومكتبة الهلال

بيروت - لبنان

يقول تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ وهو النقل الصدق ﴿والميزان﴾ وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وقال تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ وقال تعالى ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ ولهذا قال في هذه الآية ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جاؤا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا﴾ أي صدقاً في الإخبار وعدلا في الأوامر والنواهي ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾. وقوله تعالى ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحي إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المهلب الجرمي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» ولهذا قال تعالى ﴿فيه بأس شديد﴾ يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿ومنافع للناس﴾ أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمناشر والأزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك. قال علباء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقوله تعالى ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ﴿إن الله قوي عزيز﴾ أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

الإيجي الشيرازي الشافعي

المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي

المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الرابع

المحتوى:

من أول سورة غافر - إلى آخر سورة الناس

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

نزل جبريل -عليه السلام- بالميزان إلى نوح -عليه السلام-، وقال: مر قومك يزنوا به، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليتعاملوا بالعدل، ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: أنشأنا، وأحدثنا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والمطرقة[1]، ﴿الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: هو القتال به مع من عاند الحق، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ هو آلة لأكثر الصنائع، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، عطف على معنى فيه بأس شديد ومنافع فإنه حال يتضمن تعليلا أي: أنزلناه للبأس وللنفع وليعلم وقيل: عطف على ليقوم الناس، ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ أي: دينه، ﴿وَرُسُلَهُ﴾: باستعمال آلات الحرب مع أعداء الله تعالى، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائبا عن الله تعالى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ينصرونه ولا يبصرونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: في أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾: في ذاته لا يحتاج إلى نصرة ناصر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢وجيز.

حاشية محيي الدين شيخ زاده

محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي
المتوفى سنة ٩٥١هـ

على

تفسير القاضي البيضاوي

المتوفى سنة ٦٨٥هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته
محمد عبد القادر شاهين

الجزء الثامن

المحتوى:
من أول سورة النجم - حتى آخر سورة الناس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية

يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الأعداء، كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإن آلات الحروب متخذة منه. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار. والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلاً أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله

إنزال أسبابه. وقيل: الإنزال مهنا بمعنى الإنشاء والهبة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وقيل: هو من باب علفتها تبنًا وماء باردًا، وتقدير الكلام: أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان. ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] والمراد بوضعه الأمر باستعماله. وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به. وقيل: المراد بالميزان العقل وبإنزاله إنزال الأمر به. **قوله تعالى: (فيه بأس شديد)** جملة حالية من «الحديد» قيل: معناه فيه من خشية القتل خوف شديد. وقال محيي السنة: فيه قوة شديدة في الحرب. وفي الصحاح: البأس العذاب والبأس الشدة في الحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح، والمعنى: إنه متخذ منه آلتان للحرب آلة الدفع وآلة الضرب. قال أهل المعاني: معنى ﴿أنزلنا الحديد﴾ أحدثناه وأنشأناه كما في قوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ وقوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك أن أوامر الله تعالى وأحكامه تنزل من السماء. وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله عز وجل أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل النار والحديد والماء والملح. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة. السندان يروى بفتح السين وكسرها يقال له بالتركي أورس. والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى. والميقعة المبرد وهو ما يحد به الحديد. والمطرقة آلة يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركي حكرج. فعلى هذا الإنزال على حقيقته. وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ بعد قوله: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ إشارة إلى أن تمشية قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به يتوقفان على والٍ صاحب سيف يقيم به أمر السياسة ويقهر به من تجاوز القسط وتعدى وظلم، فإن الظلم من شيم النفوس الأمارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم. ثم قال: ﴿ومنافع للناس﴾ إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى القائم بالسيف يحتاج أيضًا إلى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع وآلات المحترفة.

قوله، (والعطف على محذوف) يعني أن قوله تعالى: ﴿وليعلم الله﴾ معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى: ﴿فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ فإنه حال فيه معنى التعليل

تفسير
الخطيب الشربيني

المسمى

السراج المنير
في الإعانة
على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير

تأليف

الإمام الشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري

المتوفى سنة ٩٧٧ هـ

خرّج آياته وأحاديثه وعلّق حواشيه

إبراهيم شمس الدين

الجزء الأول

المحتوى :

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة التوبة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿الذين﴾ نعت للذين اتقوا أو للعباد أو بدل من الذين قبله **﴿يقولون﴾** يا **﴿ربنا إننا آمنا﴾** أي: صدّقنا **﴿فاغفر لنا ذنوبنا﴾** أي: استرها علينا وتجاوز عنا **﴿وقنا عذاب النار﴾**.

تنبيه: في ترتيب سؤال المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجرّد الإيمان دليل على أنّ مجرّد الإيمان كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لأسبابها وأسباب ما عطف عليها وقوله تعالى: **﴿الصابرين﴾** أي: على الطاعة وعن المعصية وعلى البأساء والضرّاء نعت **﴿والصادقين﴾** أي: في إيمانهم وأقوالهم قال قتادة: هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السرّ والعلانية **﴿والقانتين﴾** أي: المطيعين لله **﴿والمنفقين﴾** أي: المتصدّقين **﴿والمستغفرين بالأسحار﴾** أي: أواخر الليل كان يقولوا: اللهمّ اغفر لنا خصت بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم، وفي هذا كما قال البيضاوي: حصر لمقامات السالك على أحسن الترتيب أي: الذكرى فإنّ معاملته مع الله إمّا توسل وإمّا طلب، والتوسل إمّا بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما، وإمّا بالبدن وهو إمّا قولي وهو الصدق وإمّا فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة، وإمّا بالمال وهو الإنفاق في سبيل الخير وإمّا الطلب فالاستغفار؛ لأنّ المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها انتهى.

وتوسيط الواو بين الصابرين وما بعده للدلالة على استقلال كل واحد منها وكما لهم فيها أو لتغاير الموصوفين بالصفات. وتخصيص الأسحار؛ لأن الدعاء فيها أقرب من الدعاء في غيرها إلى الإجابة؛ لأنّ العبادة حينئذٍ أشق والنفس أصفى والعقل أجمع لمعاني الألفاظ التي ينطق بها لا سيما للمتهجد قيل: إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون، وعن الحسن كانوا يصلون في أوّل الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فذا نهارهم وهذا ليلهم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا ـ أي: أمره ـ كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له



بيان النقول الثابتة الصريحة من نصوص أعلام الأئمة والمفسرين وشُرَّاح الحديث، من السلف والخلف، والمذاهب الأربعة، في شرحِ وتأويلِ حديثِ النزول بما يوافق عقيدة الهدى والتوحيد، ويُبطِل مزاعم أهل التشبيه والتجسيم والضلال.

الجامع الصحيح

وهو

سنن الترمذي

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة

٢٠٩ - ٢٧٩ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق
خادم الكتاب والسنة
محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَأَنَسٍ، وَعَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى. وَحَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ، وَبُرَيْدَةَ.

* قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٦٦٢ – حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ. حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ».

وَتَصْدِيقُ ذٰلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) وَ(يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ).

* قَالَ أَبُو عِيسَى: هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوُ هٰذَا.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هٰذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ. وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هٰذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ، وَلَا يُقَالُ، كَيْفَ؟.

الحديث رقم ٦٦٢

تخريجه:

أصل المتن ثابت في الحديث السابق.

هٰكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعَبْدِاللهِ بنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هٰذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَمِرُّوهَا بِلاَ كَيْفٍ. وَهٰكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هٰذَا تَشْبِيهٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: الْيَدَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ. فَتَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ هٰذِهِ الآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ. وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ. وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ هٰهُنَا الْقُوَّةُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ. فَإِذَا قَالَ. سَمْعٌ كَسَمْعٍ أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ فَهٰذَا التَّشْبِيهُ.

وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَلاَ يَقُولُ كَيْفَ وَلاَ يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ وَلاَ كَسَمْعٍ، فَهٰذَا لاَ يَكُونُ تَشْبِيهاً. وَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

٦٦٣ ـ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ. حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ. حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ مُوسَى عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «سُئِلَ النَّبِيُّ

الحديث رقم ٦٦٣

تخريجه:

لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، سوى الترمذي.

تأويلات أهل السنة

تفسير الماتريدي

تأليف

الإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي

المتوفى ٣٣٣هـ

تحقيق

الدكتور مجدي باسلوم

الجزء الثالث

المحتوى:

من أول سورة النساء - إلى آخر سورة المائدة

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾

وقوله -عز وجل-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾

قيل: فرائض الله التي أمركم بها من قسمة الميراث[1].

ويحتمل ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: ما حدّ لنا حتى لا يجوز مجاوزتها، وقد تقدم ذكرها في سورة البقرة. وذكر حدود الله، وقد يجوز أن يكون للخلق حدود، يقال: حدُّ معن ؛ فإذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حدّ الخلق كيف فهم من قوله: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و ﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ما فهم من استواء الخلق؟! فإذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق - لم يجز أن يفهم من استواء الله ما يفهم من استواء الخلق، وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق، ولا يفهم من مجيئه مجيء الخلق، ولا من نزوله نزول الخلق؛ على ما لم يفهم من قوله -تعالى- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ حدود الخلق؛ إذ لا فرق بين هذا وبين الأول.

وقوله -عز وجل-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أوامره ونواهيه، وما حَرَّم وأحل.

ويحتمل: حدود شيء من ذلك؛ فيرجع تأويل الأول إلى أنفس العبادات، والثاني: إلى نهايات العبادات.

والمعروف من الحدود التي تنسب إلى الخلق وجهان:

أحدهما: نهاية المنسوب إليه، وذلك حق حد الأعيان.

والثاني: الأثر الذي يضاف إليه، وذلك حد الصفات أن يقال: حد الفعل فعل كذا، وحد البصر والسمع، يراد به الأثر الذي به يعرف، أو هنالك ما ذكر، ثم لم تكن الحدود التي أضيفت إلى الله - سبحانه وتعالى - على واحد من الوجهين اللذين يضافا إلى الخلق؛ إذ قد ثبت بضرورة العقل وحُجج السمع تعاليه عن المعاني التي هي معاني خلقه؛ فعلى ذلك ما أضيف إليه من طريق العقل من الاستواء، والمجيء، والرؤية - لم يجز في ذلك تصوير المعنى الذي في إضافة ذلك إلى الخلق يكون بما في ضرورة العقل والسمع جلاله وكبرياؤه عن ذلك المعنى، وبالله العصمة.

(١) أخرجه بمعناه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٦٩) (٨٧٩١) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٢٢٧) وزاد نسبته لابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

الاعتقاد والهداية
الى سبيل الرشاد

للإمام الحافظ الكبير
أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
المتوفى سنة ٤٥٨هـ

صححه وعلق عليه
كمال يوسف الحوت
مركز الخدمات والبحوث الثقافية

عالم الكتب

النبي ﷺ، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله، ووكل علمه إلى الله، ونفي الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة، ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات[1] في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب. وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستوى على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف، فقد قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾[2] وقال: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾[3] وقال: ﴿هل تعلم له سمياً﴾[4].

أخبرنا محمد بن عبد الله للحافظ، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا الهيثم بن خارجة، حثنا الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن يزيد، سمعت أبا يحيى البزار يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينه يقول: كل ما وصف الله من نفسه

الموطأ: في القرآن: باب ما جاء في الدعاء، وابو داود في الصلاة: باب اي الليل افضل.

(١) ص: ٤٤٩ وما بعدها

(٢) الشورى: ١٠

(٣) الاخلاص: ٥

(٤) مريم: ٦٥

من تراث الكوثرى

(١٦)

كتاب الأسماء والصفات

للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي

المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية

قدم له وعلق عليه فضيلة أستاذنا العلامة

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك بخلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

من الغمام والملائكة ﴾ يقول الملائكة يجيئون في ظلل من الغمام، والله عز وجل يجيء فيما يشاء، وهي في بعض القراءة **﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام ﴾** وهي كقوله **﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾** قلت فصح بهذا التفسير أن الغمام إنما هو مكان الملائكة ومركبهم، وأن الله تعالى لا مكان له ولا مركب، وأما الاتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا، لا بأن يتحرك[1] أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء. وهذا كقوله عز وجل **﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾** ولم يرد به إتيانا من حيث النقلة، وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخرّ عليهم السقف من فوقهم، فسمي ذلك الفعل إتيانا، وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين.

*أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا أحمد بن سلمان النجاد قال قرئ على سليمان ابن الأشعث الأشجعي وأنا أسمع ثنا القعنبي عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ قال « ينزل الله عز وجل كل ليلة . إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسالني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له » . وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا جعفر بن محمد بن الحسين ثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك فذكر بمعناه . رواه البخاري في الصحيح عن القعنبي ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى، ورواه أيضا يحيى بن أبي كثير ومحمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ .

(١) وإثبات الحركة والانتقال والجهة ونحوها لله سبحانه تجسيم صريح بغير كتاب ولا سنة. وكذلك إثبات الحد والجلوس والمماسة، تعالى الله عن ذلك. وإثبات النقلة والحركة له تعالى رغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام وميل إلى أعدائه الصابئة عبدة الأجرام العلوية، وإن وقع في كلام حرب ابن إسماعيل وعثمان بن سعيد وغيرهما من قادة الحشوية، ونصوص كلماتهم مدونه في تكملة الرد على نونية ابن القيم.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني والعباس بن محمد الدروى قالا : ثنا محاضر ابن المورع ثنا بن سعيد أنا سعيد بن مرجانة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « ينزل(١) الله إلى السماء الدنيا لشطر الليل - أولثلث الليل - الآخير فيقول من يدعونى فأستجيب له؟ أو يسألنى فأعطيه؟ ثم يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم » رواه مسلم فى الصحيح عن حجاج بن الشاعر عن محاضر بن المورع، وأخرجه أيضاً من حديث أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورواه أيضا أبو جعفر محمد بن على فى آخرين عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك أنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا شعبة أنا أبو إسحاق قال سمعت الأغر يقول أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى ثلثا الليل ثم يهبط فيقول هل من سائل؟ هل من تائب؟ هل من مستغفر من ذنب؟ فقال له رجل حتى يطلع الفجر؟ فقال نعم » أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث غندر عن شعبة وقال : فينزل بدل قوله ثم يهبط، وبمعناه قاله منصور عن أبى إسحاق عن الأغرابى مسلم ينزل(٢) إلى السماء الدنيا .

---

(١) قد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أى ينزل ملكا . ويقويه حديث النسائى عن أبى هريرة وأبى سعيد قال رسول الله ﷺ : « إن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له؟ » الحديث، وصححه عبد الحق، بل هذا الحديث يعين أن الإسناد مجازى فى صنع الثلاثى من روايات الحديث فيخرج الحديث من أن يكون من الأحاديث المتشابهه، على أن شطر الليل وثلثه مما يختلف باختلاف المطالع والمغارب، كما يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه . فثبت أن ذلك فتح باب القبول لأهل كل أفق . وأما من جعل ذلك نقله فقد جسم وخالف البرهان العقلى، والدليل الشرعى وضرورة الحس . راجع الفصل لابن حزم وشرح البخارى للبدر العينى .

(٢) قال البدر العينى فى شرح البخارى : إذا أضيف المجئ والأتيان والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التى هى تفريغ مكان وشغل غيره، ويحمل على ذلك، وإذا أضيف إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى، فالنزول لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة : بمعنى الانتقال كما فى قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) وبمعنى الاعلام نحو قوله تعالى (نزل به الروح الأمين)

* أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن شبانة الشاهد بهمدان ثنا عبد الرحمن بن الحسين القاضي ثنا محمد بن أيوب انا أبو الوليد الطيالسي ح. وأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق ثنا أحمد بن سلمان الفقيه ثنا محمد بن عيسى الواسطي ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي ثنا حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ قال وذلك في كل ليلة». لفظ حديث الواسطي وهو أتم، وقد روي في معنى هذا الحديث عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبادة بن الصامت ورفاعة بن عرابة وجابر بن عبد الله وعثمان بن أبي العاص وأبي الدرداء وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم عن النبي ﷺ وروي فيه عن عبد الله بن عباس وأم سلمة وغيرهما رضي الله عنهم.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني انا سلم بن قادم ثنا موسى بن داود قال قال لي عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ نحو من خمسين سنة، قال فقلت له يا أبا عبد الله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث. قال فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا زكريا العنبري يقول سمعت أبا العباس محمد بن إسحاق الثقفي يقول سمعت الحسن بن عبد العزيز الجروي يقول سمعت قاضي[1] فارس يقول قال إسحاق بن راهويه:

= أي أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ. وبمعنى القول نحو (سأنزل مثل ما أنزل الله) أي سأقول مثل ما قال. وبمعنى الإقبال على الشيء، وبمعنى نزول الحكم. وذلك كله متعارف عند أهل اللغة. وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب جل جلاله من النزول على ما يليق به من هذه المعاني، وهو إقباله على أهل الأرض بالرحمة) اهـ. راجع عمدة القاري (٣-٦٢٣) ز.

(١) وهو مجهول. ز.

دخلت يوما على عبد الله بن طاهر فقال لى: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له: ويقدر، فسكت عبد الله. قال أبو العباس أخبرني الثقة من أصحابنا قال سمعت إسحاق بن راهويه يقول: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لى: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير إن الله تعالى بعث إلينا نبيا نقل إلينا عنه أخبار بها نحلل الدماء،وبها نحرم، وبها نحلل الفروج، وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم،فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك. قال فأمسك عبد الله. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول سمعت أحمد بن سلمة يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول جمعني وهذا المبتدع ـ يعني إبراهيم ابن أبى صالح ـ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء. قال فرضى عبد الله كلامي وأنكر على إبراهيم. هذا معنى الحكاية.

* وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا زكريا العنبرى يقول سمعت أبا العباس يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: دخلت يوما على طاهر بن عبد الله بن طاهر وعنده منصور بن طلحة، فقال لى: يا أبا يعقوب إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له تؤمن به؟ فقال طاهر: ألم أنهك عن هذا الشيخ، ما دعاك إلى أن تسأله عن مثل هذا؟ قال إسحاق فقلت له إذا أنت لم تؤمن أن لك ربا يفعل ما يشاء، لست تحتاج أن تسألني. قلت فقد بين إسحاق بن إبراهيم الحنظلي في هذه الحكاية أن النزول عنده من صفات الفعل، ثم إنه كان يجعله نزولا بلا كيف، وفي ذلك دلالة على أنه كان لا يعتقد فيه الانتقال والزوال.

* أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنا أبو محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني قال وفيما أجازني جدى ـ يعني محمود بن الفرج ـ قال قال إسحاق بن راهويه سألني ابن طاهر عن حديث النبى ﷺ ـ يعني في النزول ـ فقلت له النزول بلا كيف.

* قال أبو سليمان الخطابي: هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث

في الصفات كان مذهب السلف فيها الايمان بها، وإجراءها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها، وذكر الحكاية التي أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنا أبو محمد ابن حيان ثنا الحسن بن محمد الدارمي ثنا أبو زرعة ثنا أبو مصفى ثنا بقية ثنا الأوزاعي عن الزهري ومكحول قال امضوا الأحاديث على ما جاءت.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالوية ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: امرُّوها كما جاءت بلا كيفية.

* قال أبو سليمان: وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أن رجلا قال له، كيف ينزل فقال له بالفارسية كدخداي[1] كارخويش كن ينزل كما يشاء.

* أخبرنا أبو عثمان ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل ثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي ثنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن محبوب ثنا أحمد بن حمُّويه حدثنا أبو عبد الرحمن العتكي ثنا محمد بن سلام قال: سألت عبد الله بن المبارك فذكر حكاية قال فيها فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل؟ فقال عبد الله بن المبارك كدخداي كارخويش كن ينزل كيف يشاء. قال أبو سليمان رحمة الله: وإنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو نزلة من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت، وهذا صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده، وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء، لا يتوجه على

(١) يعني ليكن تحدثك عن افعال نفسك، وتزعمك وإشرافك عليها فقط. ولست بمشرف على افعال الله سبحانه. وكدخدا بمعنى صاحب البيت المشرف على شئونه، وهي الكلمة المستعملة في لغة مصر بلفظ «كخيا» ز.

والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون، وكلاهما من أعراض الحدث، وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعال عنهما، ليس كمثله شئ. فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش. قال: وإنما ذكرت هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فانه لا يثمر خيرا ولا يفيد رشدا، ونسال الله العصمة من الضلال، والقول بما لا يجوز من الفاسد والمحال.

* وقال القتيبي: قد يكون النزول بمعنى إقبالك على الشئ بالارادة والنية، وكذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ والمصير، واشباه هذا من الكلام، وذكر من كلام العرب ما يدل على ذلك. قال: ولا يراد في شئ من هذا انتقال يعني بالذات، وإنما يراد به القصد إلى الشئ بالارادة والعزم والنية.

* قلت وفيما قاله ابو سليمان رحمه الله كفاية، وقد اشار إلى معناه القتيبي في كلامه، فقال: لا نحتم على النزول منه بشئ، ولكنا نبين كيف هو في اللغة والله أعلم بما اراد.

* وقرأت بخط الأستاذ ابي عثمان رحمه الله في كتاب الدعوات عقيب حديث النزول قال الاستاذ ابو منصور يعني الحمشاذي على إثر

النصوص والآثار على التجليات المصطلح عليها فيما بعد عهد التنزيل بدهور استعمالاتها في حقائقها؟ ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب سبيل السلف الصالح، ومسلك ائمة اصول الدين، ونابذ لغة التخاطب، وهجر طريقة اهل النقد في الجرح والتعديل، والتقويم والتعليل، وجانب أصفياء الصوفية القائلين بالتوحيد الشهودي، بل حاد عن فرق هذه الأمة جمعاء، غير الحلولية من طوائف المشبهة، فعبقات هذا الحائد عقبات دون الوصول إلى الحقائق. وهكذا تكون ويلات الشذوذ عن الجماعة. وقد اطفأ الله سبحانه نار فتنة وفلّ جده، وطالما التهمت طوائف من أصفياء أهل بلادهما. ولنا عودة إلى بسط ما للحفيد والجد من وجوه التهافت والانحراف عن الصواب في جزء خاص إن شاء الله تعالى، تحذيرا لاخواننا الأصفياء المتقين. وآسف جد الأسف أن يروج اللف والدوران والكلام المبهرج الذي لا معنى تحته على المخلصين فيفسد عليهم منهجهم القويم. وإحسان الظن البالغ في الشيوخ موقع في شبكات الزيغ نسأل الله السلامة. ز.

الخبر. وقد اختلف العلماء في قوله ينزل الله فسئل أبو حنيفة عنه فقال: ينزل بلا كيف وقال حماد بن زيد: نزوله إقباله، وقال بعضهم ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بالتجلى والتملي، لأنه جل جلاله منزه عن أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزها عن أن تكون ذاته مثل ذات الغير، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيفية. ثم روى الأمام رحمه الله عقيبه حكاية ابن المبارك حين سئل عن كيفية نزوله، فقال عبدالله: كدخداى كارخويش كزينزل كيف يشاء. وقد سبقت منه هذه الحكاية بإسناده، وكتبتها حيث ذكرها أبو سليمان رحمه الله.

* وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزنى يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة، وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قول تعالى **(وجاء ربك والملك صفا صفا)** والمجئ والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى، من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهه بها علواً كبيراً.

* أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله بن يعقوب ثنا محمد بن عمرو الحرشى ثنا القعنبى ثنا يزيد بن إبراهيم التسترى عن عبد الله بن أبى مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت «تلا رسول الله ﷺ: **(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)** قالت قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله عز وجل فاحذروهم». رواه البخارى ومسلم فى الصحيح عن القعنبى.

(باب ما روى فى التقرب والإتيان والهرولة)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا

هذا الراوى، إذ سائر الراوة يقولون «إذا تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً» ويقولون فى تمام الحديث «وإذا اتانى يمشى اتيته اهرول». والباع والبوع مستقيمان فى اللغة جاريتان على سبيل العربية، والاصل فى الحروف الواو. فقلبت الواو الفا للفتحة .

* ثم الجهمية واصناف القدرية وأخياف المعتزلة المجترئة على رد أخبار الرسول بالمزيف من المعقول، لما ردوا إلى حولهم وأحاط بهم الخذلان واستولى عليهم بخدائعه الشيطان، ولم يعصمهم التوفيق ولا استنقذهم التحقيق، قالوا: الهرولة لا تكون إلا من الجسم المتنقل، والحيوان المهرول، وهو ضرب من ضروب حركات الانسان كالهرولة المعروفة فى الحج، وهكذا قالوا، فى قوله: تقربت منه ذراعاً، تشبيه إذ يقال ذلك فى الأشخاص المتقاربة والأجسام المتدانية، الحاملة للأعراض، ذوات الانبساط والانقباض، فاما القديم المتعالى عن صفة المخلوقين، وعن نعوت المخترعين، فلا يقال عليه ما ينثلم به التوحيد ولا يسلم عليه التمجيد فاقول إن قول الرسول ﷺ موافق لقضايا العقول إذ هو سيد الموحدين من الاولين والآخرين، ولكن من نبذ الدين وراءه وحكم هواه وآراءه، ضل عن سبيل المؤمنين، وباء بسخط رب العالمين، تقرب العبد من مولاه بطاعاته وإراداته وحركاته وسكناته سراً وعلناً، كالذى روى عن النبى ﷺ «ما تقرب العبد منى بمثل ما تقرب من اداء ما افترضته عليه، فلا يزال يتقرب إلى بالنوافل حتى اكون له سمعا وبصرا» وهذا القول من الرسول ﷺ من لطيف التمثيل عند ذوى التحصيل، البعيد من التشبيه، المكين من التوحيد، وهو ان يستولى الحق على المتقرب إليه بالنوافل حتى لا يسمع شيئا إلا به، ولا ينطق إلا عنه، نشراً لآلائه، وذكراً لنعمائه، وإخبارا عن مننه المستغرقة للخلق، فهذا معنى قوله يسمع به وينطق ولا يقع نظره على منظور إليه إلا رآه بقلبه موحداً، وبلطائف آثار حكمته ومواقع قدرته من ذلك المرئى المشاهد، يشهده بعين التدبير وتحقيق التقدير، وتصديق التصوير .

* وفى كل شئ له شاهد يدل على انه واحد .

* فتقرب العبد بالاحسان، وتقرب الحق بالامتنان، يريد أنه الذى أدناه، وتقرب العبد إليه بالتوبة والانابة، وتقرب البارى إليه بالرحمة

والمغفرة، وتقرب العبد إليه بالسؤال، وتقربه إليه بالنوال، وتقرب العبد إليه بالسر وتقربه إليه بالبشر، لا من حيث توهمته الفرقة المضلة الأعمال والمتغابية بالأعثار.

* وقد قيل فى معناه إذا تقرب العبد إليّ بما به تعبدته، تقربت إليه بماله عليه وعدته. وقيل فى معناه إنما هو كلام خرج على طريق القرب من القلوب دون الحواس، مع السلامة من العيوب، على حسب ما يعرفه المشاهدون، ويجده العابدون، من أخبار دنو من يدنو منه، وقرب من يقرب إليه، فقال على هذه السبيل وعلى مذهب التمثيل ولسان التعليم بما يقرب من التفهيم، إن قرب البارى من خلقه بقربهم إليه بالخروج فيما أوجبه عليهم، هكذا القول فى الهرولة، إنما يخبر عن سرعة القبول، وحقيقة الاقبال ودرجة الوصول، والوصف الذى يرجع إلى المخلوق مصروف على ما هو به لائق، وبكونه متحقق، والوصف الذى يرجع إلى الله سبحانه وتعالى يصرفه لسان التوحيد، وبيان التجريد، إلى نعوته المتعالية، واسمائه الحسنى ولولا الاملال احذره واخشاه، لقلت فى هذا ما يطول دركه، ويصعب ملكه، والذى اقوله في هذا الخبر واشباهه من أخبار الرسول ﷺ المنقولة على الصحة والاستقامة بالرواه الاثبات العدول، وجوب التسليم، ولفظ التحكيم، والانقياد بتحقيق الطاعة، وقطع الريب عن الرسول ﷺ وعن الصحابة النجباء الذين اختارهم الله تعالى له وزراء وأصفياء، وخلفاء، وجعلهم السفراء بيننا وبينه ﷺ، عن حق عداه أو عدوه، وصدق تجاوزه، والناس ضربان مقلدون وعلماء، فالذين يقلدون ائمة الدين سبيلهم أن يرجعوا إليهم عنه هذه الموارد، والذين منحوا العلم ورزقوا الفهم هم الأنوار المستضاء بهم، والائمة المقتدى بهم، ولا أعلمهم إلا الطائفة السنية والحمد لله رب العالمين.

* أخبرنا أبو على الحسين بن محمد الروذبارى ثنا ابو بكر محمد بن أحمد بن محموية العسكرى بالبصرة ثنا ابو عبد الرحمن النسائى احمد

٤٢٤

السنن الكبرى

لإمام المحدثين الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين
ابن علي البيهقي "٤٥٨ هـ"

وفي ذيله

الجوهر النقي

للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني
الشهير "بابن التركماني" المتوفى "٧٤٥هـ"

ويليه

فهرس الأحاديث

إعداد
الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي

الجزء الثالث

دار المعرفة
بيروت - لبنان

ثنا اسحاق بن احمد الفارسي ثنا حفص بن عمر المهرقاني ثنا ابو داود وهو الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وابو عوانة لا يحدون (١) ولا يشبهون ولا يمثلون يروون الحديث ولا يقولون كيف واذا سئلوا اجابوا بالاثر (اخبرنا) ابو عبد الله الحافظ قال سمعت ابا محمد احمد بن عبد الله المزني يقول حديث النزول قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا والنزول والمجيء (٢) صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال الى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا قلت وكان ابو سليمان الخطابي رحمه الله يقول انما ينكر هذا وما اشبهه من الحديث من يقيس الامور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذه صفة الاجسام والاشباح فاما نزول من لا تستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير *

باب الترغيب في قيام جوف الليل الآخر

(اخبرنا) ابو عبد الله الحافظ انا ابو بكر بن اسحاق الفقيه انا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان (ح واخبرنا) ابو عمرو الاديب انا ابو بكر الاسمعيلي انا الفاريابي ثنا قتيبة بن سعيد وابو بكر بن ابي شيبة قال واخبرني ابو يعلى ثنا ابو خيثمة قالوا ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار انه سمع عمرو بن اوس الثقفي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه * لفظ حديث الحميدي وقال غيره عن عن * رواه البخاري في الصحيح عن قتيبة وغيره * ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة وابي خيثمة *

(اخبرنا) ابو عبد الله الحافظ وابو زكريا بن ابي اسحاق المزكي قال ابو عبد الله ثنا وقال ابو زكريا انا ابو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء انا جعفر بن عون انا مسعر عن سعد بن ابراهيم عن ابي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها ما الفى النبي صلى الله عليه وسلم عندي السحر الآخر الا نائما * رواه مسلم في الصحيح من حديث مسعر واخرجه البخاري من حديث ابراهيم بن سعد عن ابيه *

(اخبرنا) ابو علي الروذباري انا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا حسين بن يزيد الكوفي ثنا حفص عن هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوقظه الله عز وجل بالليل فما يجيء السحر حتى يفرغ من جزئه (٣) *

(اخبرنا) ابو بكر بن فورك انا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا ابو داود ثنا شعبة عن الاشعث بن ابي الشعثاء عن ابيه عن مسروق قال سألت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان احب العمل اليه الدائم قلت فاي حين كان يقوم قالت كان اذا سمع الصارخ قام * قال ابو داود تعني الديك *

(١) في نص - لا يحدون ١٢ (٢) في نص - والمجيء والنزول ١٢ (٣) كذا في النسخ وفي سنن ابي داود حزبه ١٢



تأليف
إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
الجويني الشافعي
المتوفى سنة ٤٧٨هـ

وضع حواشيه
عبد الله محمود محمد عمر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويلَه إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذَّكَّرُ إلا أولوا الألباب﴾. أي آمنا به جميعاً محكمِه ومتشابهِه، لكن إيمانهم بالمتشابه لا ينقض إيمانهم بالمحكم الذي هو الأصل، فهم لا يشبهون الله بخلقه، بل يكلون العلم بمعنى المتشابه إلى الله عز وجل، معتقدين أن له معنى شريفاً يليق به سبحانه، فلا هم بالمعطِّلين للنصوص ولا هم بالمشبهين، ومذهبهم وسط بين الطائفتين الشاذتين عن سبيل أهل الحق، وهما المعطِّلَة والمشبِّهة.

وعلى هذا درجَ سلف الأمة من صحابة وتابعين وتابعيهم، ولو ذهبت أسرد لك كلماتِهم في هذا، لطال بي القول وامتدَّ الكلام.

لكن لما ظهرتِ البدعةُ، وتطلعتْ رؤوسُ أهل الزيغ، وصاروا يشوشون على المسلمين عقائدهم، خشي علماء المسلمين على العقائد أن يلحقها لَوْثٌ وفساد، فاعتمدوا تأويل النصوص المتشابهة في إطار اللغة العربية وضمن سُوَر الشريعة، فأولوا الاستواء بالاستيلاء مثلاً مستأنسين بقول العربي:

قد استوى بِشْرٌ على العراق ... من غير سيفٍ ودم مُهْراق

يجب انتفاؤها في القطعيات.

وذهب الأستاذ أبو إسحاق إلى أن الحديث المدون في الصحاح الذي لم يعترض عليه أحد من أهل الجرح والتعديل، وهو مما يقضي به في القطعيات، وليس من أصله أنه يبلغ مبلغ التواتر، إذ لو بلغه، لأوجب العلم الضروري، ولكنه مما يوجب العلم استدلالاً ونظراً. والصحيح في ذلك طريقة القاضي، فإن الحديث ـ وإن رواه الإثبات ونقله بالثقات ـ فلم يجمع أهل الصنعة على صحته؛ على معنى أنه منقول عن الرسول ﷺ قطعاً. وإنما انكف أهل التعديل عن التعرض للحديث الذي نقلوه من حيث لم يظهر لهم ما يتضمن مطعناً وقدحاً في النقلة. وهم مع ذلك يجوزون على رواة الخبر أن يزلّوا ويغلطوا، ولا يوجبون لهم العصمة. وسبيلهم كسبيل العدول المرضيين، إذا شهدوا على حكومة في مفصل القضاء. ويشرع القاضي إلى إبرام القضية بشهادتهم، فلا يتضمن ذلك قطعاً تصديقهم، ولكنه حكم في ذلك بما تقتضيه الظواهر، فكذلك سبيل الإخبار. وقد تقصينا القول في ذلك في الأصول، وأوضحنا أن الأمة لو اجتمعت على العمل بخبر من أخبار الآحاد، فإجماعهم على العمل به لا يوجب القطع بصحته. ثم لو تقبلنا والتزمنا التأويل، فمسلكه سهل المدرك، قريب المتناول في ذلك، لأن النزول ليس من ضرورة معناه ومقتضاه أن ينبيء عن التحول والانتقال، وشغل الجهات والزوال عن أمثالها، إذ قد يطلق النزول فيما يستحيل فيه الزوال والانتقال. فيقال: نزل بالناس نازلة. ولا يراد بذلك انتقال شيء إليهم من قطر إلى قطر. والآيات المشتملة على إنزال القرآن تجري هذا المجرى، وليس المراد بإنزاله نقله من موضع إلى موضع.

هذا ما صار إليه أهل التحصيل، ولا اكتراث بقول الجهلة الحشوية في اعتقادهم أن الكلام ينتقل من جهة إلى جهة، فإن أهل التحصيل على مذهبين: فمنهم من حكم بقدم الكلام، وهم الذين صاروا إلى أنه صفة قديمة، قائمة بذات الرب، يستحيل عليها الزوال والانفصال. ومن حكم بحدث الكلام، منع انتقاله أيضاً من حيث كان عرضاً. فقد وضح أن النزول يطلق فيما يستحيل فيه الانتقال والزوال. وقد قامت الدلالة القاطعة على استحالة الانتقال على القديم. وأقرب الناس إلى التزام الكفر الصراح من جوّز على الرب الانتقال. فإن من أوضح دلالات حدث الجواهر، جواز انتقالها. فإذا حمل النزول فيما قامت الدلالة على استحالة انتقاله كالأعراض على غير انتقال، فيجب حمل النزول في الحديث على غير الانتقال، ثم السبيل فيه أن يقال: المعنى بالنزول ظهور أحكام الله تعالى في السماء الدنيا، واستيفاضه آيات الرحمة. كما أن المعنى بنزول القرآن إلى أهل السموات والأرض تثبيت الإفهام لهم، وتخصيصهم بالعلم. والذي يحقق ذلك أن المقصد من الحديث، اختصاص

بعض ساعات الليل وآنائه برحمة الله ورأفته، وتوقع إجابة الدعوات فيه. فهذا مقصد الحديث ومساقه، والرب سبحانه وتعالى موصوف بالاقتدار على ذلك من غير تقدير انتقال. ولو قدر زائغ انتقالاً، فلا أثر له فيما هو مقصد الحديث، والملتمس من مساقه.

والذي يوضح ما قلناه: اتفاق المسلمين على أن المعنى بقوله ﷺ: «إن الله تعالى يقول إذا تقرب العبد مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي، أتيته أهرول»[١]، محمول على غير الانتقال والزوال. وإنما المراد به إزلاف الدرجات، والتمسك بما فيه مرضاة الله من الطاعات. والمراد بقرب الله إحسانه، وتفضله، وقبوله الطاعات من أوليائه. ولم يحمل أحد من أهل التحصيل هذا الحديث على ظاهره. فسبيل التأويل في النزول يداني ذلك؛ بل ما قلناه في النزول أظهر منه في المشي والهرولة، والقرب المقيد بالذراع والباع.

وعلى قريب من ذلك، حمل المسلمون ما روى عن النبي صلى الله [عليه وسلم] أنه قال لا يوطىء المؤمن المسجد إلا يتشبث الله به، كما يتشبث أهل الغائب بمقدمه»[٢]، فهو محمول على وقوع ذلك من العبد موقع الرضا. ومن تدبر موارد هذه الأحاديث، ألفاها متقاربة في المعنى، راجعة إلى تقرب الرضا، ورفع الدرجات.

فهذه أوجه ظاهرة في تأويل النزول. وقال بعض أهل التأويل: المعنى بنزول الله، نزول ملائكته المقربين، الحافين حول العرش، وتضمن الحديث بتضمنهم من حيث ذكر اسم الله تعالى، وحذف ذكر الملائكة. وسبيل ذلك، كما تقدم في قوله: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ [المائدة: ٣٣]. وقوله: ﴿والذين يؤذون الله ورسوله﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وهذا الوجه حسن في التأويل أيضاً.

وذكر بعض المحصلين وجهاً آخر في التأويل فقال: المراد بالنزول انبساط رحمة الله في هذا الوقت المعلوم، وتعظيم أقدار عبيده، وتنفيذه النعمة فيهم، وتخصيصه إياهم بالطاعة. ولو أطلق النزول في حقوقنا، لأنبأ عن التواضع والانسلال عن التكبر والاغترار. إذ قد يقول القائل إذا تواضع الملك: قد نزل إلى الدرجة الدنيا. والمراد تواضعه. وإذا ذكر ذلك في صفات الله عز وجل؛ فالمراد بذلك ألطافه ورأفته. وهذا واضح أيضاً، جار في مذاهب الكلام.

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد ١٥/ ٥٠)، ومسلم (ذكر ٢٠، ٢١، ٢٢)، (توبة، ١)، والترمذي (دعوات ١٣١)، وابن ماجة (أدب، ٥٨)، وأحمد بن حنبل ٢ ـ ٤١٣، ٤٣٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٤، ٣ ـ ٤٠، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ٢٧٣، ٥ ـ ١٥٣، ١٥٥، ١٦٩، ٣٥١.

(٢) أخرجه ابن ماجة (مساجد، ١٩)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٠٧، ٣٢٨، ٣٤٠، ٤٥٣.

الغنية في أصول الدين

تأليف

أبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري
المعروف بالمتولي الشافعي
المتوفى سنة ٤٧٨هـ

تحقيق الشيخ
عماد الدين أحمد حيدر
مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

ومن صار إلى[1] الوقف على[2] قوله ﴿والراسخون في العلم﴾ فيكون معناه أن الله تعالى يعلم تأويله والراسخون في العلم أيضاً يعلمون تأويله[3] صار إلى التأويل.

ولكن الطريق في الجواب معهم أن تعارضهم بآيات تخالف ظواهرها ظواهر[4] هذه الآيات وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة[5] إلا هو رابعهم﴾ إلى قوله تعالى:[6] ﴿هو معهم أين ما كانوا[7]﴾ وقوله تعالى[8]: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾[9] وموجب الآيتين حلوله في كل مكان وقال تعالى: ﴿الا انه بكل شيء محيط[10]﴾ ومقتضى ظاهرها أنه محيط بالعالم.

فإن أعرضوا عن تأويل[11] هذه الآيات مع الإيمان بظواهرها والاعتقاد بأنه لا يكون في كل مكان وأنه غير محيط بالعالم أعرضنا نحن عن التأويل وصرنا إلى الإيمان بما ورد مع الاعتقاد بأن الحق تعالى منزه عن المكان، وإن صاروا إلى التأويل وقالوا المراد بقوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ بالعلم لا بالذات، وكذلك قوله تعالى: ﴿الا انه بكل شيء محيط﴾ يعني بالعلم ضرباً إلى التأويل.

وقلنا المراد بقوله[12] الرحمن على العرش استوى بالقدرة.

فإن قيل إذا حملتم على القدرة لم يكن لتخصيص العرش فائدة.

قلنا فائدته[13] أن العرش أعظم المخلوقات فإذا قدر عليه علم من طريق التنبيه أنه قادر على ما هو[14] دونه على أن مثل هذا يلزمهم فيما قالوا

---

(١) في ب: زيادة (ان).
(٢) في ب: عند.
(٣) في ب: نقص (يعلمون تأويله).
(٤) في ب: نقص (ظواهر).
(٥) في ب: ثلثه.
(٦) في ت، ب: وهو، والصواب (هو).
(٧) المجادلة: ٧.
(٨) في ب: نقص (تعالى).
(٩) الحديد: ٤.
(١٠) فصلت: ٥٤.
(١١) في ب: التأويل.
(١٢) في ب: زيادة (تعالى).
(١٣) في ب: نقص فائدته.
(١٤) في ب: نقص (هو).

بـأن الله تعـالى عـالم بكـل مخلوق غيـر بني آدم فـإذا حملوا على العلم لم يكن لتخصيص بني آدم فائدة.

فإن قالوا خص بني آدم تشريفاً لهم.

قلنا وخص العرش بذلك تشريفاً له.

فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقتضي منازعة سـابقة وذلـك محـال في وصفـه، قلنا: والاستـواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والانزعاج[1] وذلك محال في وصفه.

وأما قوله تعالى ﴿ورافعك إليّ﴾[2] معناه إلى كرامتي ورحمتي.

وقـوله: ﴿يخـافون ربهم من فـوقهم﴾[3] معناه يخـافون ربهم أن ينـزل عليهم عذاباً من فوقهم[4] وإنما خص جهة فوق لأن الله تعـالى اجرى سنته أن ينزل العذاب من فوق.

وأما قوله عليه السـلام «ينزل الله في[5] كـل ليلة إلى سماء[6] الـدنيا» والمراد[7] به أنه[8] يبعث ملكاً إلى سمـاء[9] الدنيا حتى ينادي على مـا ورد في الخبر، ثم أضاف نزول الملك إلى نفسه كمـا يقال نـادى الأمير في البلد إذا أمر بالنداء ويقال قتل الأمير فلاناً والقـاتل غيره، ويضاف إلى الأميـر من حيث إنه هو الآمر به.

(١) في ب: واعوجاج.
(٢) في ب: (وإني متوفيك ورافعك إلي).
(٣) النحل: ٥٠.
(٤) في ب: فوق.
(٥) في ب: نقص (في).
(٦) في ب: السماء.
(٧) في ب: فالمراد.
(٨) في ب: ان.
(٩) في ب: السماء.

فإن استدلوا بعرف الناس ورفع[1] أيديهم إلى السماء عند[2] الدعاء، فرفع اليد إلى السماء ليس لأن الله تعالى في مكان ولكن لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة[3] الصلاة[4] في حال القيام، والأرض قبلة في حال الركوع والسجود .

وليعلم[5] أن الله تعالى ليس في الكعبة ولا في الأرض وإن استدلوا بقصة المعراج وان رسول الله ﷺ[6] حمل إلى جهة فوق وبقوله تعالى : ﴿**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[7] فليس فيها حجة لأن موسى عليه السلام سمع الكلام على الطور وكان ميعاده الطور ولم يدل على أن الله تعالى على الطور.

وقال في قصة إبراهيم ﴿**إني مهاجر إلى ربي** [8]﴾ وكانت هجرته إلى الشام ولم يكن الباري تعالى في الشام فبطل قولهم .

وأما قوله تعالى : ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ فذلك دنو كرامة لا [9] مجاورة كقوله ﴿ **واسجد واقترب**[10] ﴾ .

مسألة

الباري تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء وحقيقة هذه المسألة تتبين

---

(١) في ب : برفع .
(٢) في ب : زيادة (السؤال) .
(٣) في ب : ت ـ قبل .
(٤) في ب : في الصلاة .
(٥) في ب : تعلم .
(٦) في ب : نقص (ﷺ) .
(٧) النجم : ٨ .
(٨) العنكبوت : ٢٦ .
(٩) في ب : زيادة : دنو
(١٠) العلق : ١٩ .



تأليف

الشَّيخ الإمام ميمون بن مُحَمَّد النَّسفي

(الشهير بـ أبي المعين النسفي)

المتوفى سنة

٥٠٨ هـ

دراسة وتعليق

الدكتور ولي الدين محمد صالح الفرفور



المبحث الخامس
المجيء والذهاب والنزول

ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالمجيء والذهاب؛ لأن المجيء والذهاب من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين، وهما صفتان منفيتان عن الله تعالى، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف استدل بالمنتقل من مكان إلى مكان أنه ليس برب حيث قال: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[(١)] ومعنى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[(٢)]. أي أمر ربك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[(٣)] أي جاء بهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا، يعني قيل: كعب بن الأشرف[(٤)].

---

(١) من سورة الأنعام آية ٧٦.

(٢) من سورة الفجر آية ٢٢.

(٣) من سورة الحشر آية ٢.

(٤) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان شاعر جاهلي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الاسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والتشبيب بنسائهم وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه. وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر أعلام الزركلي ٥/ ٢٢٥.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾[(١)] يعني استهلكهم، واستأصلهم فلم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن ديار، نزلت في غزو نمرود بن كنعان[(٢)] لعنه الله.

ومعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ

---

(١) من سورة النحل آية ٢٦.

(٢) النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله: مجاهد. وقال غيره نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح. وقال مجاهد وغيره: كان أحد ملوك الدنيا. وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل ابراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على انكار الصانع، فحاج الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل ربي الذي يحي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت. قال قتادة والسدي ومحمد بن اسحاق: يعني أنه إذا أتي بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وغفل عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر. وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا معارضة بل هو تشغيب محض.

فإن الخليل عليه السلام استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها ضرورة عدم قيامها بنفسها.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٥٨. أي: فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت فانقطع النمرود وسكت ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

انظر البداية والنهاية ١/ ١٧٠ وما بعدها.

﴿ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[(١)] يعني بعدما أثبتنا من الدلائل أنه لا شبيه له ولا شريك له ولا مجيء له ينظرون إتيانه في ظلل من الغمام ويعتقدون هذا ليؤمنوا به، وهذا في صفات الله تعالى محال.

ومعنى الخبر: «ينزل الله تعالى كل يوم وليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فيتاب عليه»[(٢)].

قلنا: النزول من الله تعالى الاطلاع والإقبال على عباده، يعني ينظر إلى عباده بالرحمة. هكذا نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[(٣)].

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[(٤)] ولم يرد به حقيقة النزول معناه علّمناه وفهمناه كذلك ههنا.

فإن قيل: لو قلنا بأن لله تعالى جسم مركب ليس يضرنا.

قلنا: يضركم؛ لأن الجسم عبارة عن مركب ومؤلف، فإذا أثبتم الأبعاض فقد قلتم بأنه لا يكون إلهاً واحداً.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٥)]

---

(١) من سورة البقرة آية ٢١٠.

(٢) أحاديث النزول في كل ليلة قد ثبت تواترها. أما حديث ليلة النصف من شعبان فأخرج معناه ابن ماجة في السنن عن علي رضي الله عنه برقم ١٣٨٨.

(٣) مرت ترجمته.

(٤) من سورة الحجر آية ٩.

(٥) سورة البقرة آية ١٦٣.

إن هذه الآية ـ على ما أعتقد ـ غير مناسبة للاستشهاد على نفي الأبعاض؛ لأن

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مكتبة الملك عبد العزيز
المدينة المنورة

الفن :
عنوان المخطوطة : [illegible]
إسم المؤلف : [illegible]
مصادره :
أول المخطوطة : [illegible]
آخرها : [illegible]
إسم الناسخ : [illegible] تاريخ النسخ : ١١٨٦ مكان النسخ : نوع الخط : نسخ
الملاحظات :
عدد الأوراق : ٩٠٥ عدد الأسطر : ٢٥ المقاس : ×

شرح الإرشاد [illegible]

٩٥

شرح الإرشاد و[illegible]



ما لي بهذا الأمر يدان يعنون ما لي به قدرة وقال عز وجل بل يداه مبسوطتان قال
أبو الحسن والقاضي المراد باليدين في هذه الآية القدرة وأجمع أهل التفسير على أن المراد
بالأيدي في قوله تعالى أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما القدرة والذي يحقق
ما قلناه أن الذي ذكره شيخنا أبو الحسن والقاضي ليس يوصل إلى الوسع بإثبات
صفتين زائدتين على ما عداهما من الصفات ونحن وإن لم يكن في قضية العقل صفة
سمعية ولا يدل مقتضى العقل عليها وإنما يتوصل إليها سمعا فيشترط أن يكون السمع
مقطوعا به وليس مما استدل به الأصحاب بقطعي والظواهر المحتملة لا توجب العلم وأجمع
المسلمون على منع تقدير صفة مجتهد فيها أثبتها الله تعالى لا يتوصل القطع فيها بعقل وسمع و
ليس في اليدين على ما قاله شيخنا نص لا يحتمل التأويل ولا إجماع ولا قضية عقلية فيجب
تنزيل ذلك على ما قلناه والظاهر من لفظ اليدين حملهما على جارحتين فإن استحال حملهما
على ذلك فمنع من حملهما على القدرة أو النعمة أو الملك فالقول بأنهما محمولتان على صفتين
زائدتين على ما عداهما من الصفات تحكم محض فأما قولهم لا معنى لحمل
اليدين على القدرة فإن في الحمل عليها إبطال التخصيص فللقائل أن يقول إذا لم الظاهر ما
اشتركنا فإن أبا الحسن والقاضي وكل محقق مطبقون على أن الخلق والاختراع
لا يقع إلا بالقدرة فيقول القاضي ما معنى قوله تعالى لما خلقت بيدي ولا يقع الخلق إلا بالقدرة
عندك فإن حوم على طريق من التأويل لم يكن فيما يبديه أولى من غيره إذا لم الظاهر
بوجه آخر بل كان ما يقدره الخصم فهو دون ما يحتاج إليه القاضي في قطع الخلق عن
القدرة وأجمعنا على أن القدرة القديمة متعلقة بكل مقدور وخلق آدم عليه السلام
مقدور كخلق غيره فما معنى تخصيص آدم بالخلق بغير القدرة ومما يوضح ما قلناه أن
المحصلين مجمعون على أن المخلوق باليد لا يثبت له صفة يستحق لأجلها أن يسجد له
كيف ومن مذهبنا أن وجوب عبادة الله تعالى لا يدرك إلا سمعا وإنما لزم السجود
اتباعا لأمر الله تعالى كما قيل يا إبليس ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك فوجب القطع
بأن السجود لم يكن لخلقه إياه باليدين ولم يستحق السجود لذلك وظاهر الآية
يقتضي اقتضاء السجود لاختصاص آدم عليه السلام بما تضمنته الآية فالظاهر
متروك إذا والعقل حاكم بأن الذي يقع الخلق بالقدرة لا غير ثم لا بعد في تكريم

بعض

بعض العباد بالتخصيص بالذكر كما شرف عباده المخلصين باضافتهم اليه وان
كانت الكفرة كالمخلصين في انهم عباد الله تعالى وهذا سبيل تخصيص البيت
والناقة وغيرهما من المشرفات باضافتها الى الله تعالى وقد اضاف روح آدم وعيسى
عليهما السلام اليه والاضافة تنقسم الى اضافة صفة واضافة ملك واضافة
تشريف فثبت بهذه الجملة ان معنى الآية ما منعك ان تسجد لما توليت خلقه ابتداء
من غير اصل سبق ولا على مثال تقدم كما يقول القائل لغيره لم تكسر القلم الذي بريته
بيدي وفي قريب من هذا المعنى قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
انعاما وقال الاستاذ ومن نحى نحوه في ان النقل يدل على اثبات صفة يقع بها الاصطفا
بالخلق وقد اتفقنا على ان الذوات كلها لا تقع الا بالقدرة ولسنا من القائلين
بالاحوال فيمكننا ان نسند الى وجه وتخصيص الاصطفا به ونقول انها صفة تحصل
باليد دون القدرة كما صار اليه القاضي في احد قوليه في معنى الكسب على ان ذلك مطرح
فان القاضي لم يقصد باثبات تلك الوجه مضافا الى القدرة الحادثة الا معارضة معتزلة
البصرة في قولهم ان القادرية لا تؤثر الا في اثبات حال شاهدا وغائبا على انا وان سلمنا
للقاضي القول بالحال فقد اتفقنا على ان آدم عليه السلام لم يتميز عن غيره من الناس و
المخلوقين بحال هي من اثر اليد دون القدرة فهذا وجه القول في اليدين واما العينان
والوجه فقد اختلف جواب شيخنا ابي الحسن رحمه الله في ذلك فقال مرة هما صفتان
على نحو ما قال في اليدين وقال مرة العينان محمولتان على البصر وهذا اظهر قوليه وعليه حمل
الاعين في قوله عز وجل تجري باعيننا اي تجري السفينة برأى منا وقيل بحفظنا وحمل الوجه
على وجود الباري تعالى واستدل على ذلك بقوله تعالى ويبقى وجه ربك والباقي بعد فناء
الخلق هو الله تعالى وقال الاستاذ ابو منصور الاولى ان يحمل الوجه على الوجود واولى
واكثر اصحابنا صاروا الى حمل العين على البصر وقال بعضهم يراد بالوجه الجهة التي يراد بها
التقرب الى الله تعالى فيقال فعلت هذا لوجه الله معناه لجهة امتثال امر الله تعالى
فالمعنى بالآية ان كل عمل لم يرد به وجه الله يحبط قلت وقول ابي الحسن في ان الوجه صفة
زائدة على الوجود اظهر وقوله في العينين ان المراد بذلك البصر اظهر قال الامام
ومن سوغ من اصحابنا اثبات الصفات بظواهر هذه الآيات الزمه سوق كلامه ان يجعل

الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات تمسكا بالظواهر وان لم يبعد تأويلها
فيما يتفق عليه لم يبعد ايضا طريق التأويل فيما ذكرناه هذا ما قاله رحمه الله وقد رأيت
في بعض كتب الاستاذ ابي اسحق انه قال ومما ثبت من الصفات بالشرع الاستواء
على العرش والمجيء يوم القيامة لقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله وجاء ربك
والملك صفا صفا قال ومما ثبت بالاخبار الصحيحة النزول الى السماء الدنيا كل ليلة
جمعة وقوله انا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
الحديث قال واجمع اهل النقل على قبول هذين الخبرين وما هذا وصفه كان موجبا
للعمل ومقبولا في مسائل القطع هذا ما ذكره الاستاذ في هذا الكتاب قال الامام
وكنا على الاضراب عن الكلام على الظواهر واذا اعترض فسنشير الى جمل منها في الكتاب و
السنة فنصري بالاستدراج اليها المجسمة واصحاب الظواهر قال واجمع المسلمون
على منع تقدير صفة مجتهد فيها لله عز وجل لا يوصل فيها الى القطع بعقل او سمع
واجمع المحققون على ان الظواهر يجب تخصيصها او تركها بما لا يقطع به من اخبار
الآحاد والاقيسة وما نزله لا بما يقطع به كيف يقطع به قلت ولا يظن بالاستاذ
انه اعتقد ان النزول والمجيء والاتيان من صفات ذات الله سبحانه فانه سبحانه
لا يوصف بهذه الاوصاف في ازله ويستحيل قيام حادث بذاته كما حكينا عنه انه
قال ومما ثبت من الصفات بالسمع كذا وكذا فيحتمل انه اراد بذلك صفات الافعال
ويحتمل انه اراد به الصفات الخبرية التي لا نتأولها اكثر ما ورد به الخبر وقد قال
الاستاذ ابو بكر رحمه الله من اصحابنا من قال الاستواء امر خبري لا مجال للعقل فيه وكذلك
التوقيف والواجب ان يتوقف في ذلك الى ان يرد معناه خبر وهذا مذهب ائمة
السلف فقد روي عن ام سلمة رضي الله عنها انها قالت الاستواء ثابت بلا كيف وهو
هذا قول مالك بن انس والاوزاعي وغيرهما من الائمة وحكى شيخنا ابو الحسن قولين
لاصحابنا في الاستواء احدهما انه صفة الذات والثاني انه من صفات الافعال فمن صار
الى انه من صفات الذات اختلفوا فيه فصار الاكثرون منهم الى ان الاستواء على العرش
هو العلو عليه من جهة القهر والغلبة والانفراد بنعوت الجلال وهذا المعنى وان
كان مدركا بالعقل ولكن تسميته بالاستواء مستفاد من الخبر قال ابو الحسن

من دار

من قال الاستواء صفة الذات فانه يسمى الله تعالى به حين خلق العرش لا قبله لان الاستواء
يقتضي مضافا اليه يستوي عليه ولم يكن في الازل غير الله تعالى فلم يمكن تسميته به
وقال بعض المتأخرين من اصحابنا ويمكن ان يقال لم يزل كان متصفا بصفة الاستواء
مطلقا بمعنى انه على صفة يصح لها الاستواء على العرش اذا خلقه كما نقول لم يزل الله
تعالى قادرا وان كان تعلق القدرة بالاحداث يستحيل حال الحدوث وصار آخرون
الى ان الاستواء صفة خبرية موقوف في معناها الى ان يرد خبر يبينها وحكى الامام
ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل رحمه الله عن جماعة من ائمة السلف نحو علي بن عاصم
وسفين بن عيينة ومحمد بن يوسف الفريابي وسعيد بن حرب ووكيع بن الجراح و
يزيد بن هرون ويحيى بن سعيد واحمد بن خالد الدمشقي وعبد الرحمن بن مهدي
والوليد بن مسلم القرشي وبكر بن هشام وداود بن الجراح واسحق بن راهويه
وعامة اصحاب عبد الله بن المبارك وغيرهم وذكر بيان السمعي هؤلاء الى ان
قالوا ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ولا يخلو من العرش ولا يقال
لله تعالى كيف لانه خلق كيف لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر هذا
عن هؤلاء المشايخ عند المتوكل امير المؤمنين جعفر ونحو هذا قال سفين الثوري
ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا بلا نقلة وهكذا رواه عن مشايخه وهذا ايضا
قول محمد بن كعب ومحمد بن المنكدر وغيره ونحوه قال حماد بن زيد وحماد بن سلمة
ومالك بن انس وثابت البناني والاعمش وابن مهران والنخعي وكلهم كانوا
متفقين على هذا الاصل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك واتفقوا
على نفي النقلة والتحول عن الله عز وجل وهذا ابو ثور الكلبي رحمه الله فانه قال
نزول الرب تعالى حق بلا نقلة ولا زوال ولا كيف وهو على العرش وهو مع ذلك
بكل شيء محيط واحتج على ذلك بقول ابرهيم عليه السلام لا احب الآفلين والافول
هو الانتقال وهؤلاء ائمة اصحاب الحديث وهذا الذي ذكرنا معتقدهم وهو
الجمع بين نفي الكيفية واعتقاد التعظيم واذا ثبت ذلك من هؤلاء الائمة
وهو القدوة فلا نكترث بقول المجسمة الحشوية اذا راموا حمل الاستواء
على الاستقرار وحمل النزول على الانتقال وحمل اليدين والقدم على الجارحة

وما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال استوى معناه
استقر تفسير صحيح وهو في ذلك غير موثوق به فان الضحاك وعطاء ومجاهد
وغيرهم من اصحاب ابن عباس رضي الله عنهما يروون عنه خلاف ذلك ولو كان
ذلك صحيحا لما خالفه ائمة السلف الذين ذكرناهم ومن يجوز الانتقال
والاستقرار على القديم سبحانه فقد اعتقد التجسيم ومن شك في جواز ذلك عليه
فهو مصمم على اعتقاد التجسيم وكل ذلك عدول عن اعتقاد ائمة السلف واذا
ازيل الظاهر فلا بعد في حمله على محمل قويم في الشرع مستقيم عند اهل اللغة وقد علمنا
ان الاستواء اذا لم يكن تمكنا بالذات وتخصيصا ببعض الجهات فلا بد ان يرجع
اما الى معنى العلو والعظمة واما الى معنى القهر واما الى القصد الى فعل من الافعال
ووجه التخصيص بالعرش لانه اعظم المخلوقات وقد يجوز ان يكون الاستواء على
العرش عبارة عن انتظام امر السموات والارض وما بينهما فان الملوك في اثناء
انما سالى لهم الاستواء على السرير اذا انتظم لهم امور الملك فخوطبنا على ما تعاهم
والذي يؤيد ذلك انه سبحانه قال في مواضع خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش والذي يعضد ما ذكرنا انه قال استوى على العرش
يدبر الامر وهو معنى ما قال يعني مدبرا لامور الخلائق وهذا ما اختاره القفال
الشاشي والذي يدل على صحة هذه الجملة ورود الايات التي يحتج بها وامثالها
مما يوهم الاختصاص بالجهة قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله تعالى انه
بكل شيء محيط وقوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم بمعنى الذي اشرف على الموت
ولكن لا تبصرون وقوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله
وقول الخليل عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وقوله
نبينا صلى الله عليه وسلم اذا كنت في الصلوة فلا تبصق تجاه القبلة فان الله
قبل وجه المصلي وهذه الايات تدل بظاهرها على انه سبحانه بكل مكان
واذا استحال ذلك واستبان تعارضها وليس بعضها بالتمسك به اولى من
بعض سقط الاحتجاج بها فاما ان يتأول واما ان يتوقف فاما التحكم
بالاخذ بما يوهم ظاهره التشبيه فلا وجه له وقد ذكرنا في مواضع ان

إكمال المعلم بفوائد مسلم

تأليف

القاضي الشيخ الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ

ومعه

تنبيه المعلم بمبهمات صحيح مسلم

للشيخ موفق الدين أبي أحمد بن إبراهيم بن محمد المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ هـ

وفي مقدمته

١ـ الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض للقاضي عياض

٢ـ علل الأحاديث في كتاب الصحيح للشيخ أبي الفضل بن عمار الشهيد المتوفى سنة ٣١٧ هـ

تحقيق

محمد حسن محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد المزيدي

الجزء الثالث

الحديث (١/٦٨٥) ـ الحديث (٦٠٧٨/٧٧٦)

تنبيه



٢٤ ـ بابُ التَّرْغِيبِ في الدُّعاء والذِّكْرِ في آخر اللَّيْلِ والإجابةِ فيه

١٦٨ ـ (٧٥٨) ـ حدّثنا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ. قالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ. وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ـ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ـ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

١٦٩ ـ (...) ـ وحدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْقَارِيُّ ـ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ ـ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ ـ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُضِيءَ الْفَجْرُ».

حديث التنزل

قال الإمام : قوله : « ينزل ربنا كل ليلة » : قيل : معناه : ينزل ملك ربنا ، على تقدير حذف مضاف ، كما يقال : فعل السلطان كذا ، وإن كان لفعل وقع من أتباعه ، ويضاف الفعل إليه لما كان عن زمره ويحتمل أن يكون عبر بالتزول عن تقريب الباري تعالى للداعين حينئذ واستجابته لهم ، وخاطبهم ﷺ بما جرت به عادتهم ليفهموا عنه وكان المتقرب منا إذا كان في بساط واحد مع من يريد الدنو منه يخبر عنه بأن يقال : جاء وأتى ، وإذا كان في علو قيل : نزل وتجلى ، وقد ورد في الكتاب والسنة جاء وأتى ونزل وتجلى .

قال القاضي : على هذين الطريقين اختلف تأويل السلف في الحديث ، بل قد جاءت مفسرة فيه ، فجاء في حديث الأغر أبي مسلم الذي ذكره مسلم عنه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يمهل ، حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول ينزل إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر . . » الحديث رواه الأعمش عن السبيعي عن أبي مسلم بمعناه ، وذكر مكان « ينزل » : « ثم يأمر مناديا ينادي يقول : هل

. . . .

١٧٠ ـ (...) ـ حدثنا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ: حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ، هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ، حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

١٧١ ـ (...) ـ حدثني حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ: حَدَّثَنَا مُحَاضِرٌ أَبُو الْمُوَرِّعِ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَرْجَانَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ ـ أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ ـ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ».

قَالَ مُسْلِمٌ: ابْنُ مَرْجَانَةَ هُوَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَرْجَانَةُ أُمُّهُ.

(...) ـ حدثنا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ، بِهَٰذَا الإِسْنَادِ، وَزَادَ: «ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ».

من داع» الحديث. أخرجه النسائي[1] فهذا مفسر لأحد التأويلين، وهو من معنى المروي عن مالك في تفسير هذا الحديث: ينزل أمره ورحمته، وعلى التأويل الآخر قول الأوزاعي فيه: يفعل الله ما يشاء. وإليه الإشارة في الحديث نفسه بقوله: «ثم يبسط يديه» عبارة عن نشر رحمته واستعارة بكثرة عطائه وإجابته وإسباغ نعمته، ولا يعترض على هذا بأن أمره ونهيه وأفعاله في كل حين لا يختص بوقت دون وقت فقد يكون المراد بالأمر هنا في هذه القضية يختص لقائم الليل، وكما يختص رمضان ويوم عرفة وليلة القدرة وليلة نصف شعبان - وغيرها من الأوقات بأوامر من أوامره، وقضايا من قضاياه لا تكون في سائر الأوقات، كما جاء في كتاب الله وحديث نبيه ﷺ. وقيل: يكون

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى [٦/ ١٢٤] - ح [١٠٣١٦].

١٧٢ ـ (. . .) ـ حدّثنا عُثْمَانُ وَأَبُو بَكْرٍ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ـ وَاللَّفْظُ لِابْنَيْ أَبِي شَيْبَةَ ـ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ـ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ. يَرْوِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ. قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ. حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ دَاعٍ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

(. . .) ـ وحدّثناه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِهَٰذَا الإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ مَنْصُورٍ أَتَمُّ وَأَكْثَرُ.

النزول بمعنى القول كقوله : ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: الآية ٩٣] ، وبمعنى الإقبال على النبي ﷺ ، فيكون النزول إظهار ذلك وتبليغه إلى أهل السماء الدنيا ، أو بإقباله على عباده المؤمنين كما في الحديث ، وذلك من أفعاله كما تقدم ، أو يفعل فعلاً يظهر به لطفه لهم ، كما جاء في الحديث الآخر : «أن العرش يهتز حينئذ»[1] .

وقوله : «حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول» : في بعض الروايات «وشطره» في بعضها ، والصحيح الرواية الأخرى : «حين يبقى ثلث الليل الآخر» قال شيوخ أهل الحديث : وهو الذي تتظاهر الأخبار بمعناه ولفظه ، وقد يحتمل الجمع بين الحديثين أن يكون النزول الذي أراده النبي ﷺ وعناه ، والله أعلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول . والقول : «من يدعوني» إلى آخره في الثلث الآخر .

---

(١) أخرجه البخاري [٣/١٣٨١] ـ ح [٣٥٩٢]. ومسلم [٣/١٩١٥] ـ ح [١٢٣، ٢٤٠].

كتاب
أصول الدين

للشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي الحنفي
(... - ٥٩٣ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور عمر وفيق الداعوق
مدرس العقيدة في قسم أصول الدين
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

(النــزول)

[١٧] **فصــل:** نزوله إلى السماء الدنيا[١]، تفضل ورحمة لا نقلة

(١) أحاديث النزول كثيرة منها ما رواه الشيخان وأصحاب السنن واللفظ للبخاري بسنده عن (أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، صحيح الإمام البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ص١٤، وفي صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء ١٦٨ ــ ١٧٠.
ومنها: (إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه، من ذا الذي يسترزقني فأرزقه حتى ينفجر الفجر)، أخرجه الإمام أحمد ٣، ٢٥٨، ٥٢١.
(وقد سئل أبو حنيفة ــ رحمه الله عما ورد في شأن النزول فقال: ينزل بلا كيف. . . فيجب أن يجرى على ظاهره، ويفوض أمر علمه إلى قائله، وينزه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثات)، شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص٦٠.
لكن عندما استفحل أمر أهل الغواية والزندقة ممن أراد النيل من عقائد الأمة، حين بدأت رؤوس المجسمة بالظهور، متمسكة بظواهر النصوص، وظهر خطرها على العوام، انبرى أئمة أهل السنّة للذب عن دين الله تعالى خاصة بعد أن فسروا النزول =

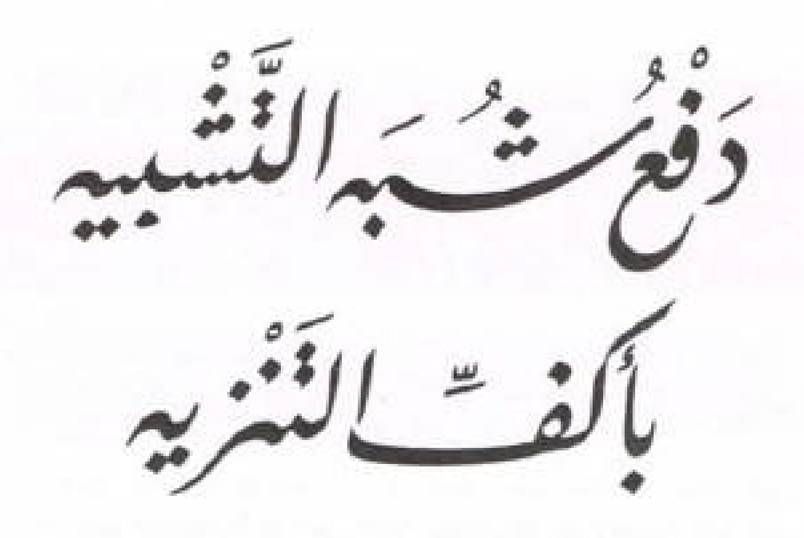
وحركة[1] لما ذكرنا.

[١٨] **فصل:** وله يدان هما صفته[2] يخلق بهما ما يشاء وهما يد خلق

---

(١) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].
وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].
وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].
إلى غير ذلك من الآيات، وقد شرح الملا علي القاري قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: (ولكن يده صفته بلا كيف) أي بلا معرفة كيفيته كعجزنا عن معرفة كنه بَقِيَّة صفاته فضلاً عن معرفة كنه ذاته. قال فخر الإسلام: إثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة في هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول فصاروا معطلة. وكذا ذكر شمس الأئمة السرخسي، ثم قال: وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص أي بالآيات القطعية اليقينية، وتوقفوا فيما هو متشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك، كما وصف الله به الراسخين في العلم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، شرح الفقه الأكبر ص٥٩ ـ ٦٠.

(٢) هذه العبارة فيها إثبات للنص دون الخروج عنه ونفي ما قد يتوهم من التشبيه والتجسيم، فالله تبارك وتعالى منزه عن مشابهة خلقه، وإمعاناً في تنزيهه تعالى فقد ذهب الأشاعرة إلى تأويل اليد وحملها على سبيل المجاز. وذلك لما رأوا الناس يخوضون في الكيفيات، وهذا ما أدى بهم إلى صرف اللفظ عن الظاهر منعاً من الوقوع في التشبيه.
يقول الفخر الرازي: (اعلم أن لفظ اليد حقيقة في هذه الجارحة المخصوصة، إلا أنه يستعمل على سبيل المجاز في أمور غيرها، فالأول: أنه يستعمل لفظ اليد في القدرة. يقال يد السلطان فوق يد الرعية. أي قدرته غالبة، والسبب في حسن هذا =



تأليف الإمام الحافظ
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ

حققه وقدم له
حسن السقاف

دار الإمام النووي

قلت: وقد روى حديث النزول عشرون صحابيا، وقد سبق القول انه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنُّقْلة والتغيّر. فيبقى الناس رَجُلَين، أحدهما: المتأوّل له بمعنى: أنه يُقَرِّبُ رحمته(١٢٩). وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾

الحديد: ٢٥.

بيعض الأوقات والساعات، وصفات الرب ـ سبحانه ـ يجب اتصافها بالقدم، وتنزيهها عن الحدوث والتجدد بالزمان»اهـ.

أقول: وأما حديث عثمان بن أبي العاص الذي فيه «فيناد منادٍ» ـ الذي صححه المحدّث!! المتناقض!! في «صحيحته» برقم (١٠٧٣) وانظر كتابنا (التناقضات) ص (١٨٩) ـ ففيه أيضاً إثبات أنَّ النازل هو مَلَك من ملائكة الله سبحانه بأمره، ولا يحتمل أن المراد بـ «منادٍ» هو الله سبحانه البتة، لأنَّ النبي ﷺ لا يقول عن ربه سبحانه «منادٍ» ولأنَّ الله سبحانه لا يمكن أن ينزل بذاته كما تتخيّل المجسمة إلى السماء الدنيا لأنَّ في ذلك حلول الخالق في المخلوق وهو كفر بواح، وقول مَن قال: «ينزل لا كنزولنا» كلام فلسفي متناقض لا معنى له، لأننا نقول له: إما أن تقول ينزل بذاته فتكون مجسماً حلولياً وإما أن تنزّه الله عن ذلك وتقول بما في هذه الأحاديث الصحيحة المفسّرة المبينة لمعنى قوله في الحديث الآخر «ينزل الله» مع أن بعض المشايخ ضبط هذه اللفظة بضم الياء فقال: «يُنْزِل» كما أثبتناها في المتن الذي أورده الحافظ ابن الجوزي وكما جاء ذلك في كلام الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/٣٠) فاستيقظ وتنبّه.

«ملاحظة»: وهناك ثمت ملاحظة مهمّة جداً، وهي أنَّ عقيدة «نزول الله بذاته الى السماء الدنيا في شطر الليل الآخر» باطلة بصريح المعقول عند جميع العقول السليمة. وذلك لأنَّ شطر الليل الآخر مستمر على وجه الكرة الأرضية طوال الأربع والعشرين ساعة، وهو متنقل من جزء من الأرض إلى الجزء الذي يليه، فعلى هذا متى يجلس معبود المجسمة على عرشه؟!!

نسأل الله التوفيق والسلامة في المعتقد والدين.

(١٢٩) وممّن أوّل حديث النزول بنزول رحمته سبحانه الإمام مالك بن أنس ـ رحمه

وإن كان معدنه بالأرض وقال: ﴿وأنزلنا لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ الزمر: ٦.

ومَنْ لَمْ يعرفْ كيف نزولُ الجَمَلِ كيف يتكلم في تفصيل هذه الجُمَلِ..؟!

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه(١٣٠). روى أبوعيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك انهم

الله تعالى ـ وهو من أئمة السلف، فيما رواه عنه الحافظ ابن عبدالبر في كتابه «التمهيد» (١٤٣/٧)، وفي «سير أعلام النبلاء» (١٠٥/٨):

«قال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمرُهُ، فأمّا هو فدائم لا يزول. قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير، فقال: حَسَنٌ والله، ولم أسمعه من مالك».

قلت: وفي هذا أن مالكاً ينزّه الله عن الحركة، ولا نقول إنه: ساكن. سبحان ربي العظيم الأعلى.

(١٣٠) وهم السلف الذين يثبتون النزول ويقولون: «أمِرُّوها كما جاءت» مع اعتقادهم تنزيه الله من الحلول في السماء، وبذلك يفارقهم المجسمة الذين يقولون ينزل بذاته.

قال الحافظ ابن حبان في صحيحه (١٣٦/٢) عقب روايته لحديث النزول: «ينزل بلا آلة ولا تحرّك ولا انتقال من مكان إلى مكان»اهـ

فهذا مذهب السلف وهو خلاف مذهب الحرّاني بتشديد الراء الذي يثبت الحركة للمولى سبحانه، عما يقول في موافقته (٤/٢) وينسبها للسلف زوراً والله المستعان عليه وعلى مقلّديه.

وهذا الحرّاني ينقل في مواضع أخرى عن السلف!! زوراً أنهم اختلفوا عند نزول معبوده هل يخلو منه العرش أم لا؟! وهذا مع أنه هذيان فارغ يدلُّ على أن الرجل غارق في التجسيم الى شحمتي أُذنيه معتقد بحديث «الأصابع الأربعة» فتنبّهوا حفظكم الله.

قالوا: أَمِرُّوا هذه الأحاديثَ بلا كيفٍ[١٣١].

قلت: والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النُّقْلَة[١٣٢]، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالي، وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل، وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعاً.

فإن قال العامي: فما الذي أراد بالنزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه[١٣٣]، فإن قال: كيف حدّث بما لا أفهمه؟ قلنا: قد علمت أن النازل إليك قريب منك، فاقتنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام.

---

(١٣١) ذكر ذلك الترمذي في سننه (٤/٦٩٢) وقال بعده:
«وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تُفَسَّر ولا تتوهم ولا يقال كيف. .»اهـ
قلت: والمجسمة توهموا لها كيفاً وهو الحركة فاعتقدوا أنَّ الله يتحرك فخالفوا السلف ونسبوا عقيدتهم إلى السلف كما فعل الحرّاني في موافقته (٢/٤) فلا حيّاهم الله ولا بيّاهم.

(١٣٢) قال الحافظ البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣):
«والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال. . .»اهـ
قلت: ومن أثبت لله تعالى صفة النزول ونفى عنه الحركة مُصيب بلا شك، لكنّ ما ذهبنا إليه من أن المراد بذلك نزول المَلَك بأمره كما جاء في الحديث الصحيح هو الأصوب والأحسن والأتبع للسنة على أنه يمكن أن يكون قد أراد أولئك الأئمة ما ذهبنا إليه من المعنى، وخصوصاً أن لغة العرب تقتضي أو تقبل هذا كما يقال غزا المَلِكُ البلدةَ الفلانيةَ وهو لم يبرح قصرَهُ فيكونُ هو الأمر بذلك.

(١٣٣) قلت: الأصوب أن يقال له: معناه يُنْزِلُ مَلَكاً وتُسْرَد له الرواية الصحيحة في نزول المَلَك حتى لا يبقى في حيرة.

قال ابن حامد (المجسّم): هو على العرش بذاته، مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل.

قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.

وقال القاضي أبويعلى (المجسّم): النزول صفة ذاتية، ولا نقول نزوله انتقال.

قلت: وهذه مغالطة. ومنهم من قال: «يتحرك إذا نزل». ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق.

وقد حكوا عن أحمد ذلك وهو كذب عليه[١٣٤]. ولو كان النزول صفة لذاته، لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة كذاته.

---

(١٣٤) وقد كذب الحنابلة على الإمام أحمد كثيراً وافتروا على لسانه أشياء هو بريء منها كما أنهم نسبوا إليه مصنّفات لم يصنّفها!! فلا يقبل منهم ما ينقلونه عنه وخصوصاً الشيخ الحرّاني، وقد مرّ في تعليق سابق أنهم دسوا في «مسنده» أحاديث كما في «لسان الميزان» (٤/٣٢ دار الفكر) وهذا الذهبي يثبت ذلك في «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٨٦) ويطعن في رسالة الاصطخري التي وضعها الحنابلة ونسبوها للإمام أحمد، ورسالة الاصطخري هذه مذكورة بتمامها في طبقات الحنابلة (١/٢٤) وفيها من العبارات ما يخالف ما عليه السلف.



في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته

تأليف

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد
ابن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)
رحمه الله تعالى

حققه وخرج حديثه وعلق عليه
الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة
الدمشقي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

قال القاضي: باب فإن قال قائل: فأين هو؟ قيل: له الأين سؤال عن المكان وليس هو ممن يحويه مكان ولا تحيط به أقطار، غير أنا نقول: إنه على عرشه لا على معنى كون الجسم على الجسم بملاصقة ومجاورة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قلت: وهذا قول أبي عمر بن عبد البر وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم من الأندلس فمن تأول على أبي عمر بن عبد البر وفهم من كلامه في كتاب «التمهيد» «والاستذكار» أن: الله تعالى مستقر على عرشه استقرار الجسم على الجسم فقد أخطأ وتقوّل عليه ما لم يقل وحسبه الله.

قال أبو عمر ـ رحمه الله ـ قال نعيم بن حماد: ينزل بذاته وعلى كرسيه وهذا ليس بشيء عند أهل العلم من أهل السُّنَّة. لأن هذه كيفية وهم يفزعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً وقد جل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. واحتج بأن الله تعالى فوق عرشه من غير تحديد ولا مماسة ولا تكييف، بآيات وأخبار احتج بها قبله الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتاب «الموجز» قال بعدها.

وقد زعمت المعتزلة بأن الله في كل شيء، فلزمها قول النصارى وأكثر وأخذ يردها على المعتزلة، ثم ذكر قولين في معنى استوى على العرش. أحدهما: إن قال قائل: فما الاستواء عندكم؟ قلنا: هو فعل كان به مستوياً على عرشه. ثم ذكر قولاً ثانياً.

ثم قال أبو الحسن: وجوابي [على] الأول: وهو أن الله سبحانه مستوٍ على عرشه وأنه فوق الأشياء وأنه بائن منه. بمعنى أنه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها.

وقال أبو الحسن في آخر الفصل بعد كلام كثير مع المعتزلة وعلى الآيات ومما يدل على أن الله فوق الأشياء، وأنه مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه عن نفسه: أن المسلمين يشيرون بالدعاء إلى السماء وإلى جهة العلو ولا يشيرون إلى جهة الأرض وهذا إجماع منهم.

قلت: هذا كلام الشيخ أبي الحسن وهو الذي نقله أبو عمر واحتج به غير واحد من العلماء أن: الله فوق عرشه كما ذكرنا، وإنما حملني على ذكر هنا لأن كثيراً من الأصوليين وجهلة المتفقهين يتأول على أبي عمر أنه حشوي قاعد ومجسم ظاهر. حتى إن بعض أشياخي أخبرني عمن لقيه أنه كان يقول ينبغي أن تقطع تلك الأوراق من كتبه أو تطمسه.

دَقَائِق الإشَارَات

إلى

معَاني الأسمَاء والصّفَات

اختِصَار

الأسماء وَالصّفات لِلبَيهقي

تأليف

الشيخ عبدالله بن محمد الأنصاري

تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر

مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع

ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفاً كناقة الله وبيت الله ومسجد الله وعبر بعضهم عنه بأنه سبحانه ابتداء صورة آدم لا على مثال سبق ثم اخترع من بعده على مثاله فخص بالإضافة .

وعلى هذا يحمل قوله ﷺ : « لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمٰن »[١] . إن صحت هذه وقيل إن الراوي رواه على ما وقع في قلبه من معناه .

وأما حديث الرؤية في الجنة وقوله ﷺ : « فهل تمارون في القمر ليلة البدر »[٢] الحديث .

قال الخطابي : تمارون أصله تتمارون وأما قوله « فيأتيهم الله » إلى تمام الفصل قال : هذا موضع يحتاج فيه الكلام إلى تأويل وتخريج وليس ذلك من أجل أنا ننكر رؤيةالله سبحانه وتعالى بل نثبتها ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب والاخبار من المجيء والإتيان غير أنا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالاً كمجيء الأشخاص فإن ذلك من نعوت الحدث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ويجب أن تعلم أن الرواية التي هي ثواب للأولياء وكرامة لهم في الجنة غير الرؤية المذكورة في مقامهم يوم القيمة فإن هذه في الموقف امتحان من الله تعالى ليقع بها التمييز بين من

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، في لواحق كتاب الإيمان ، وقال أخرجه الدارقطني في الصفات عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ عن أبي اليمان وأخرجه أيضاً في كتاب الأذان ، باب فضل السجود ، عن عطاء بن زيد ، وأخرجه أيضاً في كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم عن الزهري .
وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النساء ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي اليمان .
وأخرجه أيضاً في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي سعيد الخدري .

عبد الله سبحانه وبين من عبد الشمس والقمر والطواغيت فيتبع كلٌ معبوده وليس تنكر أن يكون الامتحان إذ ذاك بعد قائماً وحكمه على الخلق جارياً حتى يفرغ الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من ثواب أو عقاب ثم ينقطع إذا حقت الحقائق، واستقرت أمور العباد قرارها. ألا ترى قوله سبحانه: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾[1]. فامتحنوا هناك بالسجود.

وفي الحديث: « ان المؤمنون يسجدون وتبقى ظهور المنافقين طبقاً واحداً »[2].

وقال: وتخريج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليتبينو فتكون معرفتهم له في الآخرة عياناً كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علماً واستدلالاً ويكون طروه الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه فيه.

قيل: ويشبه والله أعلم إنما حجبهم عن تحقيق الرؤية في الكرة الأولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما تميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه أنت ربنا وقد يحتمل أن يكون ذلك قول المنافقين.

ويجب على كل مسلم أن يعلم أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية وقد يتأول معناها

---

(١) القلم: ٤٢.

(٢) أخرجه الطبري بنحوه في تفسيره ٢٩/٢٤، ٢٥، سورة القلم: ٤٢، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٥٧، سورة القلم: ٤٢ بنحوه.

تفسير الخازن

المسمّى

لباب التأويل في معاني التنزيل

تأليف

علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي
الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

ضبطه وصححه
عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء الأول

المحتوى

سورة الفاتحة ـ سورة النساء

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح. (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. وفي لفظ مسلم فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول: هل من سائل؟ فيعطى هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح؟» هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه، والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات. قال أبو سليمان الخطابي: إنما ينكر هذا الحديث من يقيس الأمور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه، وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم، ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله دعاءهم، ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقيل في قوله: والمستغفرين بالأسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم أنهم يستغفرون بالأسحار. وروي أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من الديك فإنه يصوت بالأسحار وأنت نائم الجنة. قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمعنى: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ يعني بيان نعته وصفته في كتبهم. وقال الربيع: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلاً من خيار بني إسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف، بينهم، وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف، وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الأحكام ﴿بغياً بينهم﴾ أي طلباً بينهم للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة. وقيل: نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل واختلافهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وما ادعوا فيه من الإلهية إلا من بعد ما جاءهم العلم. يعني بأن الله تعالى واحد أحد وأن عيسى عبده ورسوله بغياً بينهم يعني المعاداة والمخالفة. ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ قوله عز وجل:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فإن حاجوك﴾ أي خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: لسنا على ما سميتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ أن يحتج عليهم بأنه اتبع أمر الله الذي هم يقرون به بقوله: ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ أي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف جوارح الإنسان الظاهرة إذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل: أراد بالوجه العمل أي خلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الله ﴿ومن اتبعن﴾ يعني ومن أسلم كما

شرح الطيبي

على مشكاة المصابيح

المسمّى

الكاشف عن حقائق السنن

تأليف
الإمام شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله الطيبي
المتوفى سنة ٧٤٣هـ

اعتنى به وعلق عليه
أبو عبد الله محمد علي سمك

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

١٢٢٣-(٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ ». متفق عليه.

والاستقبال في « يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة » وقد اجتمع المضي والاستقبال فيما حكى الكسائي من قول بعض العرب بعد الفطر لاستكمال رمضان «رب [كاسية] صائمة لن يصومه ، ورب قائمة لن يقومه » والجواب أن قول سيبويه مئول ، فإنه يجوز أن يراد منه المعنى واحد بحسب حمل النقيض على النقيض ، وذلك شائع في كلامهم ، فلا يكونان مترادفين ، وما أدراه أن سيبويه وغيره ما سلكوا هذا المسلك؛ فإن البلغاء إذا وجدوا إلى المجاز سبيلاً لتضمنه النكتة لا يعدلون عنه إلى الحقيقة؛ لخلوها عنها ، ومما اختص به هذا الحديث من الفائدة . هي تخطئة برأيهن ، وقلة مبالاتهن بالأمر الخطير ، وعدم اكتراثهن بما هو أولى بهن ، كقوله تعالى : ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ [النور : ١٥] .

« شف » : أي كاسية من ألوان الثياب ، عارية من أنواع الثواب . وقيل : عارية من شكر المنعم . وقيل : هذا نهي عن لبس ما يشف من الثياب . وقيل: هو نهي عن التبرج . **أقول قوله** : « رب كاسية » كالبيان لموجب استيقاظ الأرواج للصلاة، أي لا ينبغي لهن أن يتغافلن عن العبادة ، ويعتمدن على كونهن أهالي رسول الله ﷺ كاسيات خلعة نسبة أزواجه مشرفات في الدنيا بها ، فهن عاريات عنها في الآخرة ، فلا ينفعهن ولا ينجيهن من عذاب الله ، إذا لم يضمنها مع العمل ، كما قال تعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم﴾ [المؤمنون:١٠١] وقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، والحديث الوارد فيه مشهور. وهذا الحديث وإن خص بأزواج رسول الله ﷺ ، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالتقدير : فرب نفس أو نسمة كاسية في الدنيا عارية في الآخرة ، والله أعلم .

الحديث الخامس عن أبي هريرة قوله : « ينزل ربنا » « قض » : لما ثبت بالقواطع

١٢٢٣ - أخرجه مالك الموطأ (١٤٩) وأحمد (٢/ ٢٦٤) (٢/ ٢٦٧) والدارمي (١٤٨٧) والبخاري (٢/ ٦٦) ، (٨/ ٨٨) ومسلم (٢/ ١٧٥) وأبو داود (١٣١٥) ، (٤٧٣٣) وابن ماجه (١٣٦٦) والترمذي (٣٤٩٨) والنسائي في اليوم والليلة (٤٨٠) من طرق عن ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً به .

وفي رواية لمسلم : « ثم يبسط يديه ويقول : من يقرض غير عدومٍ ولا ظلومٍ؟ حتى ينفجر الفجر » .

العقلية والنقلية أنه [تبارك و] تعالى منزه عن الجسمية ، والتحيز ، والحلول ، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، بل المعني به على ما ذكره أهل الحق دنو رحمته ، ومزيد لطفه على العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن الملوك الكرماء ، والسادة الرحماء ، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ، ملهوفين [فقراء] [١] مستضعفين . وقد روي : « يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا » أي ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأرذال، وعدم المبالاة ، وقهر العداة ، والانتقام من العصاة ، إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرأفة والرحمة ، وقبول المعذرة ، والتلطف بالمحتاج ، واستعراض الحوائج ، والمساهلة والتخفيف في الأوامر والنواهي ، والإغضاء عما يبدو من المعاصي . انتهى كلامه .

وقوله : « تبارك وتعالى » جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه ، لما أسند ما لا يليق إسناده بالحقيقة إليه ، أتى بما يدل على التنزيه معترضاً ، كقوله تعالى : **﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾** [النحل :٥٧] « نه » : تخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه ، لأنه وقت التهجد ، وغفلات الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله . وعند ذلك تكون النية خالصة ، والرغبة إلى الله تعالى وافرة ، وذلك مظنة القبول والإجابة . و« [من] [٢] **يقرض غير عدوم ولا ظلوم** » أي من يقرض غنياً لا يعجز عن أداء حقه والوفاء بعهده ، عادلاً لا يظلم المقرض بنقص دينه ، وتأخير الأداء عن وقته . والله تعالى غير عدوم ؛ لاستغنائه عن غيره ، وافتقار غيره إليه : وغير ظلوم ؛ لأنه يضاعف أضعافاً كثيرة ، قال الله تعالى : **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾** [البقرة : ٢٤٥] . وإنما وصف نفسه تعالى بالوصفين المذكورين ههنا ؛ لأنهما المانعان غالباً عن الإقراض . **أقول:** إخراج العمل مخرج القرض تمثيل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه ، وإيذان بكونه واجب الأداء بسبب الوعد ، كالدين .

---

(١) ساقط من المطبوع . (٢) ساقط من المطبوع .

إزالة الشبهات

عن الآيات والأحاديث المتشابهات

تأليف

الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن
ابن اللبان الشافعي
المتوفى سنة ٧٤٩هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

القدس
للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري   عمرو مصطفى الوردانى

دار البيان العربي
القاهرة

أن روحه الباصر ما زايل قلبه، لم يحنث، ولو حلف حالف أنه ما زايل عينه لم يحنث، كذلك لم يلزم من ردّ روحه إليه لرد سلام المسلم عليه، أن لا تكون (باقية)[1] عند ربها، ولا من بقائها عنده أن تكون مردودة إلى نبيه ﷺ، والله أعلم .

تبصرة:

إذا سمعت: «ينزل ربنا كل ليلة»[2] الحديث . فلا يكن حظك منه النزول فى عالم الحس، واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره إلى سماء قلبك ألا تراه كيف نبهك على هذا بقوله ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَسُولاً**﴾(الطلاق:١٠) الآية، ثم قال بعده ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾(الطلاق:١٢) الآية فبدأ بآيات نزول ذكره قبل آيات نزول أمره تنبيها على الاهتمام بالأول، وقال فى الأول ﴿**لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾(الطلاق:١١) وقال فى الثانى ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(الطلاق:١٢) وذلك يقتضى أن نزوله (بنزول)[3] الذكر، يثمر النور والهداية، وأن الله تعالى يتولى إخراج العبد من (ظلمته)[4]، ولا يكله إلى نفسه، وأن نزوله بروح الأمر يثمر (الدلالة)[5] والتكليف بالعلم، وكم بين من دلَّ، وبين من نوَّر، وبين من حمل وأخرج (وبين من حمل)[6] وكلف .

تنبيه:

اختصاص نزوله فى الثلث الأخير من الليل له ظاهر وباطن:

---

(١) كذا فى ك: وفى الأصل (فيه).

(٢) الحديث: أخرجه البخارى، كتاب أبواب التهجد- باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ... (١١٤٥) ومسلم كتاب صلاة المسافرين .... باب الترغيب فى الدعاء والذكر آخر الليل (٧٥٨).

(٣) فى ك: (بروح).

(٤) فى ك: (ظلمة).

(٥) فى ك: (الولاية).

(٦) من ك: وغير موجودة بالأصل.

الرسائل السبكية

في الرد على

ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية

للإمام الحجة

تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير

المتوفى سنة ٧٥٦هـ

عالم الكتب

وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

(إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً فيقول هل من داع يستجاب له؟، هل من مستغفر يغفر له؟، هل من سائل يعطى؟) - صححه أبو محمد عبد الحق -، وهو يرفع الاشكال ويوضح كل احتمال، وان الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول الخ. . . وقد روى يُنْزِل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا إ هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب (التهجد) ما نصه: استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي الى التحيز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال وأفاض في ذكرهما ثم قال وقد حكى أبو بكر بن فُورَك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغرّ عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: (إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول هل من داع فيستجاب له؟ - الحديث -).

وفي حديث عثمان بن أبي العاص: (ينادي مناد هل من داع يستجاب له؟ - الحديث -)، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الاشكال إ هـ.

زعم أن جمهور الخلف على أن الله تعالى فوق العالم

(١٨)- وفي آخر هذه الصحيفة زعم: (ان جمهور الخلف على أن الله تعالى فوق العالم) وهو كذاب أشر على أيِّ واحدٍ من الخلف سواه فضلاً عن جمهورهم، كما هو كذاب أشر على السلف في كل ما ينسبه اليهم من العقائد.

روض الرياحين في حكايات الصالحين

الملقب

نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر

في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر

تأليف

عفيف الدين، أبي السعادات

عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ثم المكي

(٦٧٨ – ٧٦٨ هـ)

وبذيل صفحاته

عمدة التحقيق، في بشائر آل الصديق

للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي

مؤسسة عماد الدين

قبرص

— ٤٩٥ —

هذا القدر منها إذ استيعابها يطول ، وهذه عقيدة الشيخ الجليل الإمام الحفيل شرف العارفين وإمام المعرّفين ، قدوة المرادين وسرّ عباد الله المريدين ، عالى المقامات وغالى الكرامات ، الحسيب النسيب أبى عبد الله محمد بن أحمد القرشى الهاشمى ، قدس الله تعالى روحه ونوّر ضريحه ونفعنا والمسلمين ببركته آمين ، وقد أجمع على فضلها كلّ من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحققين والعلماء الفاضلين المدققين ، قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : الحمد لله الذى تقدّست عن سمة الحدوث ذاته ، وتنزّهت عن التشبيه بالمحدثات صفاته ، ودلّت على وجوده محدثاته ، وشهدت بوحدانيته آياته ، الأول الذى لا بداية لأزليته ، الآخر الذى لا نهاية لسرمديته الظاهر الذى لا شكّ فيه ، الباطن الذى ليس له شبيه ، الحىّ الذى لا يموت ولا يفنى القادر الذى لا يعجز ولا يعيا ، المريد الذى أضلّ وهدى وأفقر وأغنى ، السميع الذى يسمع السرّ وأخفى ، البصير الذى يدرك دبيب النمل على الصفا ، العالم الذى لا يضل ولا ينسى ، المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى ، كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم ، لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع ، ولا بحروف ترجع ، كل الحروف والأصوات والنداء محدثه بالنهاية والابتداء ، جلّ ربنا وعلا ، وتبارك وتعالى ، له العظمة والكبرياء ، وله القدرة والثناء ، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى ، حياته ليس لها بداية ، فالبداية بالعدم مسبوقة ، قدرته ليست لها نهاية ، فالنهاية بالتخصيص مخارقة ، إرادته ليست بحادثة ، فالحادثة بالأضداد مطروقة ، سمعه ليس بجارحة ، فالجارحة مخروقة ، بصره ليس بحدقة ، فالحدقة مشقوقة ، علمه ليس بكسبى ، فالكسب بالتأمل والاستدلال يعلم ، ولا بضرورى فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم كلامه ، ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ، ولا بحروف فالحروف تؤخر وتقدم ، جلّ ربنا عن التشبيه بخلقه ، وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه ، بل هو القديم الأزلىّ ، والدائم الأبدىّ ، الذى ليس لذاته قد ، ولا لوجهه خد ، ولا ليده زند ، ولا له قبل ولا بعد ، ليس بجوهر ، فالجوهر بالتحيز معروف ، ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ، ولا بجسم ، فالجسم بالجهة محفوف ، هو خالق الأجسام والنفوس ، ورازق أهل الجود والبوس ، ومقدر السعود والنحوس ، ومدبر الأفلاك والشموس ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس ، على العرش استوى من غير تمكن ولا جلوس ، لا العرش له من قبل القرار ، ولا التمكن من جهة الاستقرار ، العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار ، العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول ، والقديم لا يحول

حقق الله الإجابة فى الجميع ، فقام بالشكر أتم قيام ، وعمل من العمل الصالح . وبقى شىء آخر ، وهو أن الشكر عرف بأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله . قال العلامة شيخنا الشيخ عبد المعطى الضرير المالكى : وحالة الشكر لله يقوم بها العبد حالة الصلاة التامة ، فإنه يصرف فيها جميع حواسه الباطنة والظاهرة إلى طاعة الله تعالى انتهى . فتدخل الأعمال فى الشكر والعطف بالواو يقتضى المغايرة ،

— ٤٩٦ —

ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان . وكان الله ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، ليس له تحت فيقله ، ولا فوق فيظله ، ولا جوانب فتعدله ، ولا أمام فيحده ، ولا خلف فيسنده ، جل عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والشبيه والنظير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . قلت فجميع هذا الذى ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين ، أهل العلوم اللدنية والأنوار الساطعة ، ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين ، أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة ، وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يجهل مجدهم ، وقد ذكرت جماعة من الفريق الأول . وأما الفريق الثانى ، فعقائدهم معروفة لا تجهل ، وهى فى مصنفاتهم مذكورة ، وفضائلهم فى العلم والدين مشهورة ، مثل الإمام أبى الحسن الأشعرى ، والإمام أبى إسحق الإسفراينى ، والإمام أبى بكر الباقلانى ، والإمام أبى بكر ابن فورك ، والإمام أبى المعالى إمام الحرمين ، والإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى ، والإمام فخر الدين الرازى والإمام ناصر الدين البيضاوى ، والإمام عز الدين ابن عبد السلام والإمام محيى الدين النووى وغير هؤلاء العشرة الأئمة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، لكن بعضهم تكلم فى تأويل الظواهر ، وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم فى التأويل وممن حكى ذلك عنهم الإمام محيى الدين النووى رضى الله تعالى عنه ، مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين ، حكاه فى شرح صحيح مسلم فى الحديث الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » الحديث ، قال محيى الدين المذكور : هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء ، ومختصرهما أن أحدهما : وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثانى : مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى رضى الله تعالى عنهما أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها ، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين : أحدهما : تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره معناه : ينزل رحمته تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته ، كما يقال فعل السلطان كذا

فقوله تعالى (وأن أعمل صالحا ترضاه) بعد قوله (أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت) يفيد أن المراد بالشكر الشكر اللغوى الذى هو الكشف الخاص باللسان ، والعمل مغاير له . قال الناصر اللقانى : الشكر هو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره . قال فى شرح المطالع : تحقيق ما بينهما ، أعنى الحمد والشكر ، أن الحمد ليس عبارة عن قول القائل الحمد لله ، بل هو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما ، وذلك الفعل إما فعل

كشف المشكل لابن الجوزي

على صحيح البخاري

ومعه

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح

لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ

ومعه

حواشي الحافظ ابن حجر العسقلاني

على تنقيح الزركشي

تحقيق
محمد حسن محمد حسن إسماعيل

الجزء الثاني

يحتوي على الكتب التالية:

الجمعة - صلاة الخوف - العيدين - الوتر - الاستسقاء - الكسوف - سجود القرآن - تقصير الصلاة - التهجد - فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - العمل في الصلاة - السهو - الجنائز - الزكاة - الحج - العمرة - المحصر - فضائل المدينة

تنبيه

وضعنا نص صحيح البخاري في أعلى الصفحات، ووضعنا تحته مباشرة نص كشف المشكل مميزاً بالحرف (ك) ثم نص تنقيح الزركشي مميزاً بالحرف (ز)، ثم حواشي الحافظ ابن حجر مميزة بالحرف (ح) وفي أسفل الصفحات تعليقات المحقق مميزة بأرقامها

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

١٣ - باب إِذَا نَامَ وَلَمْ يُصَلِّ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ

١١٤٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ».

١٤ - باب الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أَيْ مَا يَنَامُونَ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات ١٧ - ١٨]

١١٤٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِاللَّهِ الأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(ز) (١١٤٤) في تأويل هذا الحديث وجهان:

أحدهما: أن يحمل على ظاهره، وقد جاء في القرآن أن الشيطان ينكح، قال تعالى: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمن:٥٦]، وقال: ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ [الكهف:٥٠] وجاء في الحديث أنه يأكل ويشرب، فلا يمتنع أن يكون له بول وإن لم يكن على ما يظهر للحس.

والثاني: أنه مثل مضروب، شبه هذا الغافل عن الصلاة لتثاقله في نومه بمن وقع البول في أذنه فثقل سمعه وفسد حسه، والعرب تضرب المثل بمثل هذا، قال الراجز:

بَالَ سُهَيلٌ فِي الفَضِيخِ فَفَسَدْ ... وَطَابَ أَلْبَانُ اللِّقَاحِ وَبَرَدْ

وأراد: طلع سهيل، فجعل طلوعه في إفساد الفضيخ بمنزلة البول فيه.

(١١٤٥) أصح الروايات عن أبي هريرة: «إذا بقي ثلث الليل الآخر» كذلك قال الترمذي [٤٤٦] وحديث النزول قد رواه جماعة عن رسول الله ﷺ منهم: أبو بكر، وعلي، وابن

(ك) باب/١٣ - ح/١١٤٤ - (بال الشيطان في أذنه) لا إحالة في ظاهره، ويحتمل أن يراد صرفه عن سماع الصارخ بما يقره في أذنه حتى لا ينتبه، فكأنه ألقى في أذنه بوله فاعتل سمعه بسبب ذلك، ويحتمل أن يكون كناية عن استذلاله وجعل أذنه كالمحل الذي يبال فيه.

باب/١٤ - ح/١١٤٥ - (ينزل) بفتح أوله وهو نزول معنوي يقتضي رحمته ومزيد لطفه على عباده، وقيده بعضهم بضم أوله من أنزل فيكون متعدي إلى مفعول محذوف أي

١٥ - بابُ مَنْ نَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَحْيَا آخِرَهُ

وَقَالَ سَلْمَانُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ: قُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

١١٤٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح و حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ، وَيَقُومُ آخِرَهُ، فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَثَبَ، فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ، وَخَرَجَ.

....

(ز) مسعود، وأبو الدرداء، وابن عباس، وأبو هريرة، وجبير بن مطعم، ورفاعة الجهني، والنواس بن سمعان، وأبو ثعلبة الخشني، وعثمان بن أبي العاص، وعائشة في آخرين، وقد ذكرت فيما تقدم أنه في مثل هذه الأشياء يجب علينا أن نعرف ما يجوز على الله سبحانه وما يستحيل، ومن المستحيل عليه الحركة والنقلة والتغير، فيبقى ما ورد في هذا فالناس فيه قائلان:
أحدهما: الساكت عن الكلام فيه، وقد حكى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمِرُّوها بلا كَيْف، فهذه كانت طريقة عامة السلف.
والثاني: المتأول، فهو يحملها على ما توجبه سَعَة اللغة، لعلمه بأن ما يتضمنه النزول من الحركة مستحيل على الله سبحانه وتعالى، وقد قال الإمام أحمد: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:٢٢] أي: جاء أمره.

(ك) ملكًا. الرواية الأولى محمولة عليها على حذف مضاف كقوله: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف:٨٢] ويؤيده رواية النسائي «أمر الله ملكًا ينادي» قال صاحب المفهم. وبهذا يرتفع الإشكال قلت: لكن روى ابن حبان في صحيحه «ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري».
(حتى لا يبقى ثلث الليل الآخر) بضم الآخر صفة لثلث.
(فأستجيب له) قال أبو البقاء: الجيد نصب هذه الأفعال لأنها جواب الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ [الأعراف:٥٣] ويجوز على تقدير مبتدأ أي: فأنا أعطيه، فأنا آتيه.
باب/١٥ - ح/١١٤٦ - (وثب) بفتحات: نهض.

فريق العمل في تحقيق وإخراج

كتاب التوضيح

في

دار الفلاح

الفيوم

بإشراف

خالد محمود الرباط — جمعة فتحي عبد الحليم

التحقيق والمقابلة والتعليق

وائل إمام عبد الفتاح — أحمد فوزي إبراهيم

حسام كمال توفيق — خالد مصطفى توفيق

عصام حمدي محمد — عبد الله أحمد فؤاد

ربيع محمد عوض الله — أحمد روبي عبد العظيم

أحمد عويس جنيد — هاني رمضان هاشم

محمد زكريا يوسف - سامح محمد عيد - سعيد عزت عبد

عادل أحمد محمود — طه مصطفى أمين — عمار مصطفى أمين

محمد عبد الفتاح غلاب — محمد أحمد عبد التواب — مصطفى عبد الحي الصعيدي

فصل:

وقوله في الحديث الثالث: «رجل جرادٍ من ذهب» الرجل: الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة، وهو جمع على لفظ الواحد، ومثله: صوار: لجماعة البقر، وخيط: لجماعة (النعام)[1]، وعانة: لجماعة الحمير[2].

وقوله: «فجعل يحثي» يقال: حثا يحثو ويحثي.

فصل:

وقوله في الرابع: («ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة») سلف تأويله، ويروى: «في ليلة النصف من شعبان»[3].

---

(١) في الأصل: (الغنم)، والمثبت من (ص١).

(٢) أنظر: «لسان العرب» ٣/ ١٦٠٠. مادة (جل).

(٣) رواه الترمذي (٧٣٩) كتاب: الصيام، باب: ما جاء في كراهية الصوم في النصف الباقي من شعبان لحال رمضان، من حديث أم المؤمنين عائشة، وكذا رواه ابن ماجه (١٣٨٩) كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وأحمد ٦/ ٢٣٨، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» ٢/ ٣٢٦- ٣٢٧ (٨٥٠) و٣/ ٩٧٩ (١٧٠٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» ٣/ ٢٣٣ (١٥٠٧)، والإسماعيلي في معجم «شيوخه» ١/ ٤١٠، واللالكائي في «شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة» ٣/ ٤٩٦- ٤٩٧ (٧٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٣/ ٣٨٥- ٣٨٦ (٣٨٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» ٤/ ١٢٦ (٩٩٢). قال الترمذي عقب هذا الحديث: وسمعتُ محمدًا -أي البخاري- يضعف هذا الحديث. اهـ.

ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦٦ (٩١٥) مضعفًا له، وقال: قال الدارقطني: قد روي من وجوه وإسناده مضطرب غير ثابت اهـ، هذا وحديث عائشة قد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»- (١٧٦١) ثم صحح الحديث في «الصحيحة»- (١١٤٤) بمجموع طرقه فقال: حديث صحيح، روي عن جماعة من الصحابة من طرق مختلفة يشد بعضها بعضًا، وهم معاذ بن جبل، وأبو ثعلبة الخشني، وابن عمر، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو بكر الصديق، وعوف بن مالك، وعائشة. اهـ.

قال ابن فورك: والمراد: إقباله علىٰ أهل الأرض بالرحمة والعطف بالتذكير والتنبيه الذي يلقي في قلوب أهل الخير منهم حتىٰ يزعجهم إلى الجد في التوبة، ووجدنا الله تعالىٰ خص المستغفرين بالأسحار. والمراد: الإخبار عما يظهر من ألطافه، وتأييده لأهل ولايته في مثل هذا الوقت بالزواجر التي يقيمها في أنفسهم والمواعظ التي ينهاهم عنها بقوة الترغيب والترهيب، قال: ويحتمل أن يكون ذلك فعلًا يظهر بأمره، فيضاف ذلك إلى الوجه الذي يقال: ضرب الأمير اللص، ونادىٰ في البلد.

قال: وروىٰ لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن رسول الله ﷺ (لا)[1] يؤيد هذا التأويل، وهو ضم (ياء)[2] «ينزل»، وذكر أنه ضبطه عمن سمعه منه من الثقات الضابطين، وإذا كان ذلك كذلك كان شاهدًا لما ذكرناه.

وروي عن الأوزاعي أنه قال لما سئل عن هذا الخبر: يفعل الله ما يشاء، وهذا إشارة منه إلىٰ أن ذلك فعل يظهر منه تعالىٰ.

وذكر ابن حبيب كاتب مالك عنه أنه قال: يُنَزِّل أمره في كل سحر، فأما هو فهو دائم لا يزول[3]. (وقيل عن مالك أيضًا: ينزل بعلمه. فإن قلت: كيف يفارق علمه، قيل: أراد سرعة الإجابة)[4]، وقيل: أراد التقرب.

---

(١) كذا بالأصل، وفي «مشكل ابن فورك»: (بما) وهو أصوب.

(٢) من (ص١).

(٣) «مشكل الحديث وبيانه» ص٢١٩-٢٢٠.

(٤) من (ص١).

فتح الباري

بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

للإمام الحافظ

أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني

(٧٧٣ - ٨٥٢)

الجزء الثالث

قام بإخراجه
وتصحيح تجاربه وتحقيقه
محب الدين الخطيب

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه
واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث
محمد فؤاد عبد الباقي

وراجعه
قصي محب الدين الخطيب

دار الريان للتراث
القاهرة

الجمهور[1] لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك . وقد اختلف في معنى النزول على أقوال : « فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم . ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة ، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلا وإما عناداً ، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال منزهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم ، ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف ، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجوراً فأول في بعض وفوض في بعض ، وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد . قال البيهقي : وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه ، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم ، وسيأتي مزيد بسط في ذلك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى . وقال ابن العربي : حكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث ، وعن السلف إمرارها ، وعن قوم تأويلها وبه أقول[2] . فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته ، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه ، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني ، فإن حمله في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك ، وإن حمله على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة ، فهي عربية صحيحة . انتهى . والحاصل أنه تأوله بوجهين : إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره ، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه . وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً ، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ « إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ، ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له » الحديث . وفي حديث عثمان ابن أبي العاص « ينادي مناد هل من داع يستجاب له » الحديث . قال القرطبي : وبهذا يرتفع الإشكال ، ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني « ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : لا يسأل عن عبادي غيري » لأنه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور . وقال البيضاوي : ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه ، فالمراد نور رحمته ، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة .

---

(١) مراده بالجمهور جمهور أهل الكلام ، وأما أهل السنة – وهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان – فإنهم يثبتون لله الجهة – وهي جهة العلو – ويؤمنون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تمثيل ولا تكييف . والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر ، فتنبه واحذر ، والله أعلم .

(٢) هذا خطأ ظاهر مصادم لصريح النصوص الواردة بإثبات النزول ، وهكذا ما قاله البيضاوي بعده باطل ، والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وإمرار النصوص كما وردت من إثبات النزول لله سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تكييف ولا تمثيل كسائر صفاته وهذا هو الطريق الأسلم والأقوم والأعلم والأحكم فتمسك به وعض عليه بالنواجذ واحذر ما خالفه تفز بالسلامة والله أعلم

صحيح مسلم

للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
المتوفى سنة ٢٦١ هـ

مع شرحه المسمى
إكمال إكمال المعلم
للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأبي
المتوفى سنة ٨٢٧ أو ٨٢٨ هـ

وشرحه المسمى
مكمل إكمال الإكمال
للإمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسني
المتوفى سنة ٨٩٥ هـ

ضبطه وصححه
محمد سالم هاشم

الجزء الثالث

يحتوي على الكتب التالية:
صلاة المسافرين وقصرها . الجمعة . صلاة العيدين . صلاة الاستسقاء
الكسوف . الجنائز . الزكاة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ

قوله: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا) قلت: يستحيل أن يرد متواتراً في صفته تبارك وتعالى ما لا يقبل التأويل وإن ورد بطريق الآحاد قطع بكذب ناقله ويصح أن يراد بالطريقين ما يقبله. فالمتواتر مثل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ والآحاد مثل هذا الحديث. ومذهب أهل الحق في جميع ذلك أن يصرف اللفظ عن ظاهره المحال، ثم بعد الصرف هل الأولى التأويل أو عدمه فيؤمن باللفظ على ما يليق ويصرف علم حقيقة ذلك إلى الله سبحانه؟ والمعتزلة تنكر أصل ما يرد من ذلك بطريق الآحاد كهذا الحديث، والمجسمة القائلون بالجهة يمرون ذلك على ظاهره ويحتجون به لمذهبهم ويثبتون لله تعالى جهة فوق وهو فوق العرش ويجعلون النزول حقيقة حتى إن بعض غلاتهم نزل من ادراج كرسيه وقال: هكذا تمشي للنزول المذكور في الحديث تعالى الله عن ذلك لاستحالة الحركة في النقلة عليه سبحانه وتعالى. ثم الأظهر من قول أهل الحق التأويل وهو اختيار الإمام قال في الإرشاد: لأن في عدم التأويل استدلال العوام. وقد اختلف في التأويل فقيل: هو على حذف أي ينزل ملك ربنا كما يقال: فعل الأمير وإنما فعل بعض أتباعه. وقيل: هو استعارة لتقريبه للداعين وإجابته سبحانه وتعالى دعاءهم وعبر بذلك قصد إفهام العرب (ع) ويشهد للتأويل الأول أن في بعض طرق الحديث جعل مكان ينزل «يأمر منادياً ينادي يقول هل من داع» الحديث ذكره النسائي (ط) وهذا يرفع الإشكال وقيده بعض الناس يُنزل بضم الياء من أنزل أي ينزل ملكاً (ع) ويشهد للثاني ما في الحديث من قوله: «يبسط يديه» فإنه استعارة لكثرة إعطائه وإجابة دعائه ولا يعترض هذا بأن يقال فعله تعالى وأمره ونهيه في كل حين فلا يختص بوقت لأنه لا يمتنع أن يخصص ذلك ببعض الأوقات. وقد يكون المراد بالأمر ها هنا ما يختص بقائم الليل كما اختص رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة نصف شعبان بأوامر من أوامره وقضايا من قضاياه لا تكون في سائر الأوقات. وقيل: النزول بمعنى القول من قوله تعالى: ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ [الأنعام: ٩٣] وبمعنى الإقبال على الشيء. فعلى الأول يكون النزول بمعنى تبليغ ذلك إلى أهل سماء الدنيا، وعلى الثاني يكون كناية عن إقباله على المؤمنين وذلك من أفعاله سبحانه وتعالى كما تقدم أو يفعل فعلاً يظهر به لطفه بهم.

قوله: (وذلك كل ليلة) أي ذلك المذكور يحصل كل ليلة.

قوله: (ينزل ربنا) قيل: على حذف مضاف أي ملك ربنا حاكياً عن مولانا جل وعلا. وقيل: هو استعارة لتقريبه للداعين وإجابته سبحانه وتعالى دعاءهم. ويشهد للأول ما في النسائي جعل مكان ينزل: «يأمر منادياً ينادي» (ط) وهذا يرفع الإشكال، وقيده بعض الناس ينزل بضم الياء أي ينزل ملكاً (ع) ويشهد للثاني ما في الحديث من قوله: «يبسط يديه» فإنه استعارة لكثرة عطائه وإجابة دعائه. قلت: لما ثبت بالقواطع العقلية والنقلية أنه تبارك وتعالى منزه عن الجسمية والتحيز

يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ! وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ! وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

١٦٩ ـ (...) وحدثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ (وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْقَارِيُّ) عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ اللّٰهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ. حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ. فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ! فَلَا يَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ».

١٧٠ ـ (...) حدثنا إِسْحَٰقُ بْنُ مَنْصُورٍ. أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ. حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ. حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ. حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ

قوله: (حين يبقى ثلث الليل الآخر) وفي الآخر «حتى يمضي ثلث الليل الأول» وفي الآخر «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه» (ع) قال الشيوخ: الصحيح الأول وهو الذي تظاهرت الأخبار بمعناه ولفظه وقد يجمع بأن يكون النزول الذي أراده ﷺ أعلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول..

قوله: (من يدعوني الخ) في الثلث الآخر.

والحلول امتنع عليه النزول بمعنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه بل المعنى به إذا لم تقدر حذف المضاف على ما ذكره أهل الحق دنو رحمته ومزيد لطفه على العباد وإجابة دعوتهم وقبول معذرتهم كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزلوا بقوم محتاجين ملهوفين فقراء مستضعفين يلجؤون إليهم بكثرة المسائل ويمدون إلى مألوف كرمهم العميم أكف الضراعة ويتوسلون إليهم بإسبال المدامع وإظهار الفاقة والضعف، فإنهم يسعفونهم بأكثر من مرغوبهم ويتحفونهم بطرائف التحف وربما ولوا بعضهم ولاية يرأس بها ويشرف غاية الشرف. وبالجملة فنزول الملوك الكرماء الرحماء بقرب ساحة الضعفاء المتعرضين لرفدهم كثيراً ما يحصل إليهم من بركته ما يتمتعون إلى منتهى أعمارهم، فلفوائد هذا القرب وعظيم مواهبه وغريب تحفه استعير النزول إلى السماء الدنيا. وقد روي: «يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا» أي ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأرذال وعدم المبالاة وقهر العداة والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرأفة والرحمة وقبول المعذرة والتلطف بالمحتاج واستعراض الحوائج والمساهلة والتخفيف في الأوامر والنواهي والتجافي عما يبدو من المعاصي. وقوله في الحديث تبارك وتعالى أثر قوله: «ينزل ربنا» جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه لما أسند مالا يليق إسناده بالحقيقة إليه أتى بما يدل على التنزيه معترضاً كقوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ [النحل: ٥٧].

عُمْدَةُ القَارِي

شَرْح

صَحِيحِ البُخَارِي

تأليف
الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

ضبطه وصححه
عبد الله محمود محمد عمر

طبعة جديدة مرقمة الكتب والأبواب والأحاديث
حسب ترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف

الجُزْءُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ

يحتوي على الكتب التالية:
التمني - أخبار الآحاد - الاعتصام بالكتاب والسنة - التوحيد
من الحديث (٧٢٢٦) - إلى الحديث (٧٥٦٣)

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية

. . . .

بالانتقال والحركة وما إلى ذلك من صفات الحوادث. وقد فند الإمام ابن الجوزي مزاعم المجسمة فقال: (وقد روى حديث النزول عشرون صحابياً وقد سبق القول إنه يستحيل على الله عزّ وجلّ الحركة والنقلة والتغيير، فيبقى الناس رجلين:
أحدهما: المتأول له بمعنى: أنه يقرب رحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وإن كان معدنه بالأرض. وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] ومن لم يعرف كيف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجمل؟ والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك: (روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروا هذه الأحاديث بلا كيف، قلت وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالٍ، وهو مكان الساكن، وجسم سافل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعاً. . . فإن قال العاميّ: فما الذي أراد بالنزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه، فإن قال: كيف حدث بما لا أفهمه؟ قلنا: قد علمت أن النازل إليك قريب منك، فاقتنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام. . . قال ابن حامد: هو على العرش بذاته، مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فينزل وينتقل. قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.
وقال القاضي: النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال.
قلت: وهذا مغالطة، ومنهم من قال: يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق. وقد حكوا عن أحمد ذلك. وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة) الباز الأشهب، لأبي الفرج ابن الجوزي ص٩٦ ــ ٩٧.
وقد رد جمهور العلماء على من أثبت النزول بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك لأنه يفضي إلى التحيز، والله تعالى منزه عن ذلك. ونقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ٣/٣٠ ــ ٣١.

رواية الأكثرين: «يتنزل»، من باب التفعل، وهذا من باب المتشابهات والأمر فيها قد علم أنه إما التفويض وإما التأويل بنزول ملك الرحمة، ومن القائلين في إثبات هذا وإنه لا يقبل التأويل أبو إسماعيل الهروي، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة في كتابه (الفاروق) مثل حديث عطاء مولى أم صبية عن أبي هريرة بلفظ: «إذا ذهب ثلث الليل.....» فذكر الحديث وزاد: «فلا يزال بها حتى يطلع الفجر، فيقول: هل من داع فيستجاب له؟ أخرجه النسائي وابن خزيمة في (صحيحه) وحديث ابن مسعود وفيه: «فإذا طلع الفجر صعد إلى العرش» أخرجه ابن خزيمة. وأخرجه أبو إسماعيل من طريق أخرى عن ابن مسعود، قال: «جاء رجل من بني سليم إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني... فذكر الحديث»، وفيه: «فإذا انفجر الفجر صعد». ومن حديث عبادة بن الصامت، وفي آخره: «ثم يعلو ربنا على كرسيه»، ومن حديث جابر وفيه: «ثم يعلو ربنا إلى السماء العليا، إلى كرسيه» ومن حديث أبي الخطاب أنه سأل النبي ﷺ عن الوتر، فذكر الحديث وفي آخره: حتى إذا طلع الفجر ارتفع». قال بعضهم: هذه الطرق كلها ضعيفة. **قلت:** ألم يعلم هو أن الحديث إذا روي من طرق كثيرة ضعيفة تشد فيشد بعضها بعضاً؟ وليس في هذا الباب. وأمثاله إلا التسليم والتفويض إلى ما أراد الله من ذلك، فإن الأخذ بظاهره يؤدي إلى التجسيم، وتأويله يؤدي إلى التعطيل، والسلامة في السكوت والتفويض.

فيه: التحريض على قيام آخر الليل. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] ومن جهة العقل أيضاً هو وقت صفاء النفس لخفة المعدة لانهضام الطعام وانحداره عن المعدة وزوال كلال الحواس وضعف القوي وفقدان المشوشات وسكون الأصوات ونحو ذلك.

٧٤٩٥/١٢٤ ـ حدثنا أبو اليمانِ، أخبرنا شُعَيْبٌ، **حدثنا** أبو الزِّنادِ أنَّ الأعْرَجَ حدَّثَهُ أنَّهُ سَمِعَ أبا هُرَيْرَةَ أنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ**».

[انظر الحديث ٢٣٨ وأطرافه].

٧٤٩٦/١٢٥ ـ وبِهٰذا الإسْنادِ: «**قال الله: أنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**». [انظر الحديث ٤٦٨٤ وأطرافه].

مطابقته للترجمة في **قوله:** «**قال الله**» وهو من الأحاديث القدسية.

وأبو اليمان الحكم بن نافع يروي عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد بالزاي والنون عبد الله بن ذكوان عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

قوله: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**» من حديث مستقل.

تنـــوير الحوالك

﴿ شرح على موطأ مالك ﴾

تأليف

الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي
رحمه الله تعالى

ولتمام النفع به وضعنا متن الموطأ مفصولا على الشرح المذكور مشكولا شكلا تاما بأعلى كل صحيفة مفصولا بينه و بين الشرح بجدول

﴿ ويليه كتاب اسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي ﴾

الجزء الاول

من

ثلاثة أجزاء

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فَالِقَ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ ٱلَّيْلِ سَكَنًا وَٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ حُسْبَانًا ٱقْضِ عَنِّي ٱلدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ ٱلْفَقْرِ وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَقُوَّتِي فِي سَبِيلِكَ **وَحَدَّثَنِي** عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي ٱلزِّنَادِ عَنِ ٱلْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ٱللَّهُمَّ ٱرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ ٱلْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ **وَحَدَّثَنِي** عَنْ مَالِكٍ عَنِ ٱبْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ٱبْنِ أَزْهَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي **وَحَدَّثَنِي** عَنْ مَالِكٍ عَنِ ٱبْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْأَغَرِّ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ

خالد قال الباجي ومعنى (فالق الاصباح) أى خلقه وابتداءه وأظهره (وجاعل الليل سكناً) أى يسكن فيه (والشمس والقمر حسبانا) أى يحسب بهما الايام والشهور والاعوام قال وقوله (في سبيلك) يحتمل أن يريد به جهاد العدو وان يريد سائر أعمال البر من تبليغ الرسالة وغيرها قال ذلك كله في سبيل الله تعالى (ليعزم المسئلة) اى يعرى دعاءه وسؤاله من لفظ المشيئة (يستجاب لاحدكم) قال الباجي يحتمل الاخبار عن وجوب وقوع الاجابة وعن جواز وقوعها (عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الاغر وعن أبي سلمة) قال ابن عبد البر من رواة الموطأ من لا يذكر أبا سلمة قال والحديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة) هذا من المتشابه الذي يسكت عن الخوض فيه وان كان لا بد فأولى ما يقال فيه ما في رواية النسائي ان الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له فالمراد اذن نزول أمره أو الملك بأمره وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه ينزل بضم أوله على حذف المفعول أى ينزل ملكا قال الباجي وفي العتبية سألت مالكا عن الحديث الذى جاء في جنازة سعد بن معاذ في العرش فقال لا تتحدثن به وما يدعو الانسان الى أن يحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير وحديث ان الله خلق آدم على صورته وحديث الساق قال ابن القاسم لا ينبغي لمن يتقي الله أن يحدث بمثل هذا قيل له والحديث الذى جاء ان الله تعالى ضحك فلم يره من هذا واجازه وكذلك حديث التنزيل قال ويحتمل أن يفرق بينهما من وجهين أحدهما أن حديث التنزيل والضحك أحاديث صحاح لم يطعن في شيء منها وحديث اهتزاز العرش والصورة والساق ليست أسانيدها تبلغ في الصحة درجة حديث التنزيل والثاني أن التأويل في حديث التنزيل أقرب وأبين والعذر بسوء التأويل فيها أبعد انتهى

الدِّيباجُ على صَحِيحِ مُسْلِمِ بنِ الحَجَّاجِ

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
وُلِدَ سَنَة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ

وبحاشيته

الحلُّ المُفْهِمُ لِصَحِيحِ مُسْلِم

مِنْ إفادات المحدِّثِ الكبير رشيد أحمد الكنكوهي
وُلِدَ سنة ١٢٤٤ هـ وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ

وتعليق العلامة محمد زكريا الكاندهلوي
وُلِدَ سنة ١٣١٥ هـ وتوفي سنة ١٤٠٢ هـ

اعتنى بالديباج : محمد عدنان درويش
واعتنى بالحل المفهم : هيثم تميم

المجلد الثاني



[١٧٦٨] ١٦٧ ـ (٠٠٠) وحدثني سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ. حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

٢٤ ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه

[١٧٦٩] ١٦٨ ـ (٧٥٨) حدثنا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَغَرِّ. وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ!

١٦٨ ـ (٧٥٨) ينزل ربنا في كل ليلة: قال النووي[1]: هذا من أحاديث الصفات وفيها مذهبان للعلماء:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها، مع اعتقادنا تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

الثاني: مذهب المتكلمين وبعض السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلات:

أحدهما: تأويل مالك وغيره، ومعناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته.

والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف.

حين يبقى ثلث الليل الآخر: في الرواية بعدها: حين يمضي ثلث الأول وأشار القاضي عياض إلى تضعيفها وترجيح الأولى، قال: ويحتمل أن يكون النزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول، وقوله من يدعوني بعد الثلث الآخر.

....

[١٧٦٨] تفرد به مسلم. انظر «التحفة» برقم (٢٩٥١).

[١٧٦٩] أخرجه البخاري في «صحيحه» في التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ برقم (٧٤٩٤) وفي الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل برقم (٦٣٢١) وفي: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل برقم (١١٤٥). وأبو داود في «سننه» في الصلاة، باب: أي الليل أفضل برقم (١٣١٥) وفي السنة، باب: في الرد على الجهمية برقم (٤٧٣٣). والترمذي في «جامعه» في الدعوات باب: (٧٩) برقم (٣٤٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح. انظر «التحفة» برقم (١٣٤٦٣).

(١) النووي ٦/ ٣٥.

إرشاد الساري

لشرح صحيح البخاري

تأليف

الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ.

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الخامس عشر

يحتوي على الكتب التالية:

الفتن - الأحكام - التمني - أخبار الآحاد

الاعتصام بالكتاب والسنة - التوحيد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

والحديث سبق في الحج بمباحثه وما فيه ومطابقته لما ترجم به في قوله يقول الله.

٧٤٩٣ ـ **حدثنا** عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَما أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يا رَبِّ، وَلَكِنْ لا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

وبه قال: (**حدثنا عبد الله بن محمد**) المسندي قال: (**حدثنا عبد الرزاق**) بن همام بن نافع الحافظ أبو بكر الصنعاني قال: (**أخبرنا معمر**) بفتح الميمين وسكون العين المهملة ابن راشد (**عن همام**) بفتح الهاء والميم المشددة ابن منبه (**عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**عن النبي** ﷺ) أنه (**قال**):

(**بينما**) بالميم (**أيوب**) عليه السلام (**يغتسل**) حال كونه (**عريانًا خرّ عليه رجل جراد**) بكسر الراء وسكون الجيم جماعة كثيرة منه (**من ذهب**) وسمي جرادًا لأنه يجرد الأرض فيأكل ما عليها (**فجعل**) أيوب (**يحثي**) بفتح أوله وسكون الحاء المهملة بعدها مثلثة يأخذ بيده ويرمي (**في ثوبه فناداه**) فقال له (**ربه**) تعالى (**يا أيوب**) كلمه كموسى أو بواسطة الملك (**ألم أكن أغنيتك**) بفتح الهمزة وبعد التحتية الساكنة فوقية ولأبي ذر عن الكشميهني أغنك بضم الهمزة وبعد المعجمة الساكنة نون مكسورة فكاف (**عما ترى**) من جراد الذهب (**قال: بلى يا رب**) أغنيتني (**ولكن لا غنى لي عن بركتك**) أي عن خيرك وغنى بكسر الغين المعجمة مقصور من غير تنوين ولا نافية للجنس.

وسبق الحديث في باب من اغتسل عريانًا من الطهارة.

٧٤٩٤ ـ **حدثنا** إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وبه قال: (**حدثنا إسماعيل**) بن أبي أويس قال: (**حدثني**) بالإفراد (**مالك**) هو ابن أنس إمام دار الهجرة الأصبحي (**عن ابن شهاب**) محمد بن مسلم الزهري (**عن أبي عبد الله الأغر**) بالغين المعجمة المفتوحة والراء المشددة واسمه سلمان الجهني المدني (**عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**أن رسول الله** ﷺ **قال**):

(**يتنزل**) بتحتية ففوقية وتشديد الزاي في باب التفعل ولأبي ذر عن الكشميهني ينزل (**ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**) أي ينزل ملك بأمره وتأوله ابن حزم بأنه فعل يفعله الله في سماء الدنيا كالفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظانّ الإجابة وهذا معهود في اللغة يقال فلان نزل لي عن حقه بمعنى وهبه لي، لكن في حديث أبي

القواعد الكشفية
الموضحة لمعاني الصفات الإلهية

تأليف

الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني

٨٩٨هـ - ٩٧٣هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور مهدي أسعد عرار
أستاذ اللسانيات والعلوم اللغوية
جامعة بيرزيت



إنَّ المُلوكَ، وإنْ جَلَّتْ مَراتِبُها ... لَها معَ السُّوقَةِ الأَسْرارُ والسَّمَرُ[1]

[أقوالُ المُتصوِّفةِ في آيةِ الاستواءِ وحَديثِ النّزولِ]

وسمعتُ سيِّدي عليًّا المرصفيَّ -رحمه اللهُ تعالى- يَقولُ كثيرًا: إنما أخبرَ[2] الحقُّ -تعالى- أنه يَنزِلُ كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدّنيا، وإنْ كانَ النّزولُ على وجهِ النّقلِ مُحالاً في حقِّه -تعالى- لِيُعلِّمَنا التّواضعَ مع العبادِ، ولا نَرى نفوسَنا على أحدٍ منهم.

وسمعتُ سيِّدي عليًّا الخوّاصَ -رحمه اللهُ-[3] يقولُ: فَوقيّةُ الحقِّ -تعالى- حيثُما وَردتْ المرادُ بِها فوقيّةُ المَكانةِ والرُّتبةِ[4] لا فوقيّةُ المكانِ، تعالى اللهُ عنْ ذلكَ علوًّا كبيرًا، وإذا كانتْ فوقيّةَ مكانةٍ ورُتبةٍ، فلا فرقَ بينَ العلوِّ والسُّفلِ، فمَنْ قصَدَه في سُجودِه، كانَ قاصدًا جهةَ الفوقيّةِ، كَما قالوا في عُروجِ الملائكةِ إنَّ نزولَهم مِن السَّماءِ بالوحيِ عروجٌ لِحضرةِ الحقِّ، وهنا أسرارٌ يَعرِفُها العارفونَ لا تُسطَّرُ في كتابٍ، قالَ[5]: فَكَما لا يلزمُ مِن إثباتِ الفوقيّةِ للحقِّ -جلَّ وعلا- إثباتُ الجهةِ، فكذلكَ لا يلزمُ مِن استوائِه على العرشِ إثباتُ الجهةِ والمكانِ، وقدِ انعقدَ الإجماعُ على ذلكَ.

فإنْ قالَ قائلٌ: فَما المرادُ بقولِه -تعالى- في الملائكةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن

(١) "ب" ، "ك" ، "ز": "الأحـرار"، وهـو تصحيف، والشعر من البسيط للشيخ محيي الدين قاله في مستفتح الباب الثامن عشر المعقود له العنوان "في معرفة علم المتهجدين، وما يظهر منه من العلوم في الوجود"، وروايته في طبعة دار الكتب العلمية والهيئة العامة للكتاب:

إن الملوك وإن جلت مناصبها، وقبله:

علم التهجد علم الغيب ليس له ... في منزل العين إحساس ولا نظر

إن التنزل يعطيه وإن لــــــه ... في عينه سُوَرًا تعلو به ضُـــور

انظـر: الفـتوحات المكية، (طبعة دار الكتب العلمية)، ١/٢٥٠، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب، السفر الثالث، ٧٠.

(٢) "د" ، "ك" ، "ز": "أخبرنا".

(٣) "ك" ، "ب" ، "ز": "رحمه الله تعالى".

(٤) "د" ، "ز": "المرتبة".

(٥) نـسـب الشعراني هذا القول إلى شيخه علي الخواص، وهو للشيخ محيي الدين في باب الأسرار من الفتوحات المكية، ٨/١٨٢.

تفسير الخطيب الشربيني

المسمى

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير

تأليف
الإمام الشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري
المتوفى سنة ٩٧٧ هـ

خرج آياته وأحاديثه وعلق حواشيه
إبراهيم شمس الدين

الجزء الرابع

المحتوى:
من أول سورة محمد - إلى آخر سورة الناس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

هما اللذان تتعدى فيهما إلى ما لا يجوز ﴿والله﴾ أي: الذي له صفات الكمال ﴿لا يحب﴾ أي: لا يفعل فعل المحب بأن يكرم ﴿كل مختال﴾ أي: متكبر نظراً إلى ما في يده من الدنيا ﴿فخور﴾ أي: به على الناس قال القشيري: الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها، والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر.

وقوله تعالى: ﴿الذين يبخلون﴾ بدل من كل مختال فخور فإنّ المختال بالمال يضن به غالباً ﴿ويأمرون الناس﴾ أي: كل من يعرفونه ﴿بالبخل﴾ إرادة أن يكونوا لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ومن يتول﴾ أي: يكلف نفسه الإعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير والإقبال على الله تعالى: ﴿فإن الله﴾ الذي له جميع صفات الكمال ﴿هو﴾ أي: وحده ﴿الغني الحميد﴾ لأنّ معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإنّ الله غني أي: عن ماله وعن إنفاقه وكل شيء مفتقر إليه وهو مستحق للحمد سواء أحمده الحامدون أم لا ﴿لقد أرسلنا﴾ أي: بما لنا من العظمة ﴿رسلنا﴾ أي: الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة إلى الأنبياء على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ومن الأنبياء إلى الأمم ﴿بالبينات﴾ أي: الحجج القواطع ﴿وأنزلنا﴾ أي: بعظمتنا التي لا شيء أعلى منها ﴿معهم الكتاب﴾ أي: الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين ﴿والميزان﴾ أي: العدل، وقيل: الآلة روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي: ليتعاملوا بينهم بالعدل ﴿وأنزلنا﴾ أي: خلقنا خلقاً عظيماً بما لنا من القوة ﴿الحديد﴾ أي: المعروف على وجه من القوّة والصلابة واللين فلذلك سمي إيجاده إنزالاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد وروي من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة، وحكاه القشيري قال: والميقعة ما يحدد به يقال: وقعت الحديدة أقعها أي: حددتها وفي الصحاح: الميقعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه، وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل، وروى ومعه المبرد والمسحاة، وعن عمر أن النبي ﷺ قال: «إنّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح»[1]. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل ثلاثة أشياء مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس طولها عشرة أذرع مع طول موسى»[2]؛ وعن الحسن ﴿وأنزلنا الحديد﴾ خلقناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦] وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه ﴿فيه بأس﴾ أي: قوة وشدة ﴿شديد﴾ أي: قوة شديدة فمنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب ﴿ومنافع للناس﴾ بما يعمل منه من مرافقهم لتقوم أحوالهم بذلك قال البيضاوي: ما من صنعة إلا والحديد آلتها، وقال مجاهد: يعني جنة، وقيل: انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفأس ونحو ذلك، وروي أنّ الحديد أنزل في يوم الثلاثاء فيه بأس شديد، أي مهراق الدماء، ولذلك نهي عن الفصد والحجامة في يوم الثلاثاء لأنه يوم جرى فيه الدم؛ وروي أنه ﷺ قال: «إن في يوم الثلاثاء

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٤٦٥١، والذهبي في الطب النبوي ٩٠، والقرطبي في تفسيره ١٧/ ٢٦٠، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٥٦٦، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٧١٥.

(٢) انظر القرطبي في تفسيره ١٧/ ٢٦٠.



للعلامة المحدث الفقيه علي بن سلطان محمد القاري
(المتوفى سنة [illegible])

ومعه

التعليق الميسر
على شرح الفقه الأكبر

تأليف
الشيخ وهبي سليمان غاوجي

دار البشائر الإسلامية

بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، كما رواه مسلم، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «الحجر الأسود[1] يمين الله في أرضه يصافح بها عباده». وروى ابن ماجه نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولفظه: «من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن».

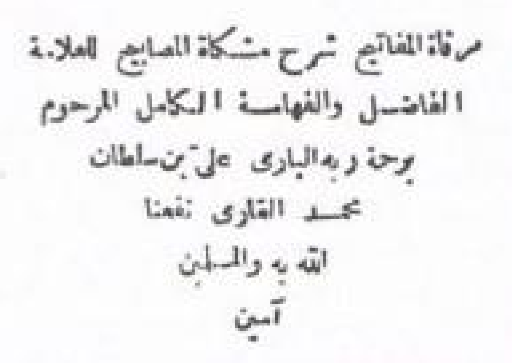
وقد سُئل أبو حنيفة رحمه الله عما ورد: من أنه سبحانه «ينزل من السماء»، فقال: ينزل بلا كيف؛ وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله خلق آدم على صورته»[2]، وفي رواية: «على صورة الرحمن» وأمثاله، فيجب أن يجرى على ظاهره، ويفوّض أمر علمه إلى قائله، وينزّه الباري عن الجارحة ومشابهة صفات المحدَثات.

وقال الإمام الأعظم رحمه الله في كتابه «الوصية»: نقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين

---

(١) (الحجر الأسود)، رواه الطبراني مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس، وعكرمة مولى ابن عباس. رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «الحجر الأسود من الجنة وكان أكثر بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا المشركين»، قال المحدث الشيخ شعيب: (الحجر الأسود من الجنة) صحيح بشواهده، أما بقية الحديث فليس له شاهد يقويه. مسند الإمام أحمد، تعليق الشيخ شعيب ٥/١٤.

(٢) (إن الله خلق آدم على صورته...)، رواه البخاري، استئذان، أنبياء ١، ومسلم، بر ١١٥، جنة ٣٥.


مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح العلامة
الفاضل والفهامة الكامل المرحوم
برحمة ربه الباري علي بن سلطان
محمد القاري نفعنا
الله به والمسلمين
آمين

•(الجزء الثاني)•

•(وبهامشه مشكاة المصابيح المذكور للعلامة الخطيب)•
•(التبريزي رحمه الله آمين)•

أزواجه وحال أي ثانية مقاماً... (يقول سبحان الله) كلمة تعجب وتعظيم للشيء وقوله (ماذا أنزل الليلة
من الخزائن) كالتفسير والبيان لأن ما استفهامية متضمنة معنى التعجب والتعظيم (وماذا أنزل من الفتن) عبر
عن الرحمة بالخزائن لكثرتها وعزتها وعن العذاب بالفتن لأنها أسباب مؤدية إلى العذاب وجمعهما لسعتهما
وكثرتهما كذا حققه الطيبي (من يوقظ) قال ابن الملك استفهام أي هل أحد يوقظ (صواحب الحجرات
يريد أزواجه) أي يعني صلى الله عليه وسلم بصواحب الحجرات أزواجه الطاهرات (لكي يصلين) ليجدن
الرحمة ويتخلصن من العذاب والفتنة قال ابن حجر ومن الفتن ما وقع بين الصحابة وإنما خص صواحب الحجر
إشارة إلى ما وقع لهن ليشفع لهن على عبادتها (رب كاسية) أي امرأة أو نفس لابسة (في الدنيا) من ألوان الثياب
وأنواع الزينة من الأسباب (عارية في الآخرة) من أصناف الثواب وفاضحة عند الحساب قال العسقلاني في
قوله عارية هي بجرورة وقال أكثر الروايات على النعت ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ والجملة في موضع النعت
والتقدير رب كاسية هي عارية هي مرتبها قال الطيبي المراد برب هنا التكثير قال الأشرف أي كاسية من ألوان
الثياب عارية من أنواع الثواب وقيل عارية من شكر النعم وقيل هذا نهي عن لبس ما يشف من الثياب
وقيل قوله رب كاسية كالبيان لموجب استيقاظ الأزواج للصلاة أي لا ينبغي لهن أن يتغافلن عن العبادة
ويعتمدن على كونهن أهالي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاسيات خلعة نسبة أزواجه متشرفات في الدنيا
ثم هن عاريات في الآخرة إذ لا أنساب فيها والحكم عام لهن ولغيرهن فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ذكره الطيبي قال ابن الملك ذكر أزواجه وأراد التعريف (رواه البخاري) قال ميرك والترمذي
(وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا) أي أمره أو بعض ملائكته أو ينادي مناديه
(تبارك) كثر خيره ودام وعلا (وتعالى) عن صفات المخلوقين من الطلوع والنزول والحلول ونحو ذلك من
سمات الحدوث ذكرهما تنويهاً وتعظيماً قيل إنهما جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه للتنبيه على التنزيه
لئلا يتوهم أن المراد بالإسناد ظاهره وحقيقته (كل ليلة إلى السماء الدنيا) قال ابن حجر أي ينزل أمره
ورحمته أو ملائكته وهذا تأويل الإمام مالك وغيره ويدل له الحديث الصحيح أن الله عز وجل يمهل حتى يمضي
شطر الليل ثم يأمر منادياً ينادي يقول هل من داع فيستجاب له الحديث والتأويل الثاني ونسب لمالك
أيضاً أنه على سبيل الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعي بالإجابة واللطف والرحمة وقبول المعذرة كما هو عادة
الكرماء لا سيما الملوك إذا نزلوا بقرب محتاجين ملهوفين مستضعفين قال النووي في شرح مسلم في هذا
الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران فمذهب جمهور السلف وبعض
المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في
تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من
السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين
المذكورين وبكلامهم بكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من
أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل
والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه
ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع فاضطر ذلك
جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه
سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل السلف وفيه تأويل
إجمالي أو مع تأويله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي ولم يريدوا بذلك مخالفة
السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية
وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثم اعتذر

يقول سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة رواه البخاري وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا

كثير

كتبهم ومقالاتهم كما على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم يخض في تأويل شيء من ذلك وقد ثبت أن مالكاً والأوزاعي وهما من كبار السلف أوّلا الحديث تأويلاً تفصيلياً وكذلك سفيان الثوري أوّل الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق بل قال جمع منهم ومن الخلف إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو وهو معكم أينما كنتم ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الآية فأينما تولوا فثم وجه الله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن والحجر الأسود يمين الله في الأرض وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المتأخرون أن الوقف على الراسخون في العلم لا الجلالة قلت الجمهور على أن الوقف على إلا الله وهو واو الاستئناف لا الراسخون والظاهر أن المراد بالتأويل معناه الذي أراده تعالى وهو في الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا أحد غيره كل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً فلا يتحقق الخلاف انتهى ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق بالله ويكون تعيين المراد منها إلى الله تعالى وهو توسط بين المذهبين وكذا بين المذهبين والمختار ابن دقيق العيد توسطاً آخر فقال إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسئلة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين قلت التوقف فيما لا يعلم عند ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم والله أعلم وقال القاضي المراد بنزوله دنو رحمته ومزيد لطفه على العباد وإجابة دعوتهم وقبول معذرتهم كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزلوا بقرب قوم ملهوفين محتاجين مستضعفين فقد روى يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا أي ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأرذال وعدم المبالاة وقهر العداة والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الجمال المقتضية للرأفة والرحمة وقبول المعذرة والتلطف بالمحتاج واستقراض الحوائج والمساهلة والتخفيف في الأوامر والنواهي والإغضاء عما يبدو من المعاصي وإلى هذا قيل هذا أحمل صوري لا نزول حقيقي فارتفع الإشكال والله أعلم بالحال (حين يبقى ثلث الليل) بضم لام ثلث وسكونه (الآخر) بالرفع صفة ثلث قال ابن الملك قيل هذا الحديث من المتشابه وقيل معناه ينتقل كل ليلة من صفات الجلال إلى صفات الرحمة والجمال قلت التعبير بالانتقال لا يرتضيه أهل الكمال لإيهام النقص والزوال وكأنه أراد به الظهور والتجلي بصفة الجمال قال في النهاية تخصيص الثلث الآخر لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة والرهبة إلى الله وقيل المراد نزول الرحمة الرحمانية والألطاف الصمدانية وقربه من العباد بمقتضى الصفة الربوبية أو نزول ملك من خواص ملائكته فيقول حكاية كلام الرب في ذلك أو فيتبلغه تعالى وهذه الرواية لا تنافي ما ورد حتى يمضي ثلث الليل الأول وفي رواية إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه فيحتمل أن يكون النزول في بعض الليالي هكذا وفي بعضها هكذا كذا قاله ابن حبان وقال ابن حجر ويحتمل أن يتكرر النزول عند الثلث الأول والنصف والثلث الآخر ويختص بزيادة الفضل الحث على الاستغفار بالأسحار ولاتفاق الصحيحين على روايته اهـ والأظهر أن هذا النزول يتعلق فلا يختص بزمان دون زمان والغاية ذكر هذه الأوقات بحسب أزمنة القائمين من قوم الغفلة ويجوز أن يطلق الليل على التنزل الإلهي من مقام الجلال إلى مرتبة الجمال لخواص عباده الذين هم أرباب الكمال المتمنية للوصال علقة الخلق من ثلاثة أحوال (يقول من يدعوني فأستجيب له) بالنصب على تقدير أن في جواب الاستفهام وبالرفع على الاستئناف وكذا قوله فأعطيه فأغفر له قاله العسقلاني (من يسألني فأعطيه) بفتح الياء وضم الهاء على الأكثر وبسكون الياء وكسر الهاء (من يستغفرني فأغفر له)

حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له

إشارات المرام

من

عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان

في أصول الدين

تأليف

الشيخ كمال الدين أحمد بن حسن بن سنان الدين
البياضي زاده الرومي الحنفي ثم البسنوي

المتوفى ١٠٩٧ هـ

خرج أحاديثه ووضع حواشيه
أحمد فريد المزيدي



ولذا رجع إمام الحرمين فقال في الرسالة النظامية بعدما رجح التأويل في الإرشاد: والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا اتّباع سلف الأمة، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها، واختاره الإمام الرازي حيث قال بعد إقامة الدلائل العقلية على أن حمل اللفظ على الظاهر محالٌ، لا يجوز الخوض في تعيين التأويل؛ لأنه إنما يكون بترجيح مجازٍ على مجازٍ، وذلك لا يمكن إلا بالدلائل اللفظية، وهي ظنية كما فصّله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧].

(ص):(وقال في الفقه الأبسط: ليست كأيدي خلقه ليست بجارحة، وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق كل النفوس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]).

(ش): والثاني: ما أشار إليه (وقال في الفقه الأبسط): باقتباس قوله تعالى: (﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠])، وأوضحه بقوله: (ليست كأيدي خلقه ليست بجارحة)، وأشار إلى تعليله بقوله: (وهو خالق الأيدي)؛ لأن الخالق لا يشابه المخلوق، (ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق كل النفوس)، فهو منـزهٌ عن الجوارح والكيفيات والتجسّم ومشابهة المخلوقات؛ إذ لو كان جسمًا لاتّصف بصفات الأجسام، إما كلها فيجتمع الضدان، أو بعضها فيلزم الترجيح بلا مرجحٍ أو الاحتياج، وأيضًا فيكون متناهيًا فيتخصص بمقدارٍ وشكلٍ، فاختصاصه بهما دون سائر الأجسام يكون لمخصصٍ، ويلزم الحاجة كما في المواقف، ولو كان مشابهًا للمخلوقات لكان اتّصافه بالعلم والقدرة والحياة من الجائزات، فلا يتّصف إلا بإيجاب موجب وتخصيص مخصص كما في التقديس، فيمتنع أن يكون ما ورد من اليد والوجه عضوًا جسمانيًا، وأن يكون نفسه كنفس الأجسام، بل لا يماثله شيءٌ في ذاته وصفاته، كما أشار إلى التعميم باقتباس قوله تعالى: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١])، فأشار إلى الاستدلال وضمنه الرد على المشبِّهة بامتناع المشابهة والمساواة للمخلوقات في تلك الوجوه.

وفيه إشاراتٌ:

الأولى: الاستدلال بأنه لو كانت ذاته مساوية لسائر ذوات المتحيزات، فكما يصح على سائر المتحيزات كونها متحركة تارة وساكنة أخرى وجب أن تكون ذاته أيضًا

وإليه أشار بقوله: فقبل خلق العرش أين كان الله؟.

الثالثة: الجواب بأن التحيز وقبول الحوادث من أمارات الحدوث، وهو على القديم محالٌ، ومنع ضرورة العقل عن الاتصال والانفصال سيما قبل خلق العرش وخلق الجسمانيات، وعن التغير والتماس بعد إحداث المحدثات كما في شرح قواعد العقائد. وإليه أشار أيضًا بقوله: (فقبل خلق العرش أين كان الله)، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(ص) **(وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء).**

(ش) الخامس: ما أشار إليه، **(وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين)**: أي مكان **(ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء)**، مُوجِد له بعد العدم، فلا يكون شيء من المكان والجهة قديمًا.

وفيه إشاراتٌ:

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكانٍ وجهةٍ لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسمًا؛ لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك، فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مرَّ بيانه، وإليه أشار بقوله: كان ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء.

وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما في شرح العضدية.

الثانية: الجواب بألا يكون الباري تعالى داخل العالم؛ لامتناع أن يكون الخالق داخلاً في الأشياء المخلوقة، ولا خارجًا عنه بأن يكون في جهة منه؛ لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات، وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله: ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كون القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير (مسلم)، بل هو المستغني عن محلٍ يقوم به، كما في شرح المواقف، وإليه لوَّح بقوله: كان الله ولا مكان.

(ص): (وأنه تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، وعليه ما رُوي في الحديث: «أنَّ رَجُلاً أتَى إلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وَجبَ عَلَيَّ عِتقُ رَقَبَةٍ مُؤمِنَةٍ أتجزيني هذه؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَمُؤمِنَةٌ أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللهُ؟» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَعْتِقْهَا



وهو شرح للإمام العارف خاتمة المحققين العلامة سيدي محمد الزرقاني
على صحيح الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة: الإمام مالك بن أنس
نفعنا الله به والمسلمين آمين

المجلد الثاني

دار المعرفة
بيروت - لبنان

رسولَ اللهِ ﷺ قالَ يُستجابُ لِأحدِكُمْ ما لَمْ يَعجلْ فيقولُ قد دعوتُ فلَمْ يُستَجَبْ لي .

٤٩٩ – وحدَّثني عن مالكٍ عن ابنِ شهابٍ عن أبي عبدِ اللهِ الأغرِّ وعن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ يَنزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدُّنيا حِينَ يَبقى ثُلُثُ الليلِ

أدرك مات بالمدينة سنة ثمان وتسعين (مولى ابن أزهر) بفتح الهمزة والهاء بينهما زاي ساكنة آخره راء عبد الرحمن الزهري المدني صحابي صغير (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل) بفتح التحتية والجيم بينهما عين ساكنة من الاستجابة بمعنى الإجابة قال الشاعر « فلم يستجبه عند ذاك مجيب » أي يجاب دعاء كل واحد منكم لأن الاسم المضاف مفيد للعموم على الأصح (فيقول) بالفاء بيان لقوله ما لم يعجل (قد دعوت فلم يستجب لي) بضم التحتية وفتح الجيم قال الباجي يحتمل أن يريد بقوله يستجاب الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة أي تحقق وقوعها أو الإخبار عن جواز وقوعها فإن أريد الوجوب فهو بأحد ثلاثة أشياء تعجيل ما سأله أو يكفر عنه به أو يدخر له فإذا قال دعوت الخ بطل وجوب أحد هذه الثلاثة وعري الدعاء عن جميعها وإن أريد الجواز فيكون الإجابة بفعل ما دعا به ومنعه قوله دعوت فلم يستجب لي لأنه من ضعف اليقين والتسخط وفي مسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وما لم يستعجل قيل وما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء ويستحسر بمهملات استفعال من حسر إذا أعيا وتعب وتكرار دعوت للاستمرار أي دعوت مرارا كثيرة قال المظهري من له ملالة من الدعاء لا يقبل دعاؤه لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا ليعطى عوضه في الآخرة وإما أن يؤخر القبول ليلح ويبالغ في ذلك فإن الله يحب الملحين في الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له والحديث رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به (مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله) سلمان بسكون اللام (الأغر) بفتح الغين المعجمة وشد الراء الجهني مولاهم المدني وأصله من أصبهان (وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا) اختلف فيه فالراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والليث والأوزاعي وغيرهم قال البيهقي وهو أسلم ويدل عليه اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب فحينئذ التفويض أسلم وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه فالنزول حسي صفة الملك المبعوث بذلك أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمي ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة والحاصل أنه تأوله بوجهين إما أن المعنى ينزل أمره أو الملك وإما أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه وكذا حكي عن مالك أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أي أتباعه بأمره لكن قال ابن عبد البر قال قوم ينزل أمره ورحمته وليس بشيء لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب في الاستجابة ذلك الوقت وقال الباجي هو إخبار عن إجابة الداعي وغفرانه للمستغفرين وتنبيه عن فضل الوقت كحديث إذا تقرب عبدي إلي شبرا تقربت إليه ذراعا الحديث لم يرد قرب المسافة لعدم إمكانه وإنما أراد العمل من العبد ومنه تعالى الإجابة وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا قال الحافظ ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد أن الله يمهل حتى يمضي

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي

الشهير بمرتضى

المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتتميمًا للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملًا في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء الثاني

كتاب قواعد العقائد ، كتاب أسرار الطهارة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر ، وحمل قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون

(و) كذا (**حمل قوله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »**) رواه مسلم في صحيحه وفيه أيضاً : أن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كقلب واحد يصرفه كيف شاء . (**على القدرة والقهر**) مجاز بعلاقة أن اليد في الشاهد محل لظهور سلطان القدرة والقهر فحسن اطلاق اليد وارادة القدرة والقهر قصداً للمبالغة إذ المجاز أبلغ ، (**وكذا حمل قوله ﷺ : « الحجر الاسود يمين الله في أرضه »**) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظه . وروى ابن ماجه نحواً من معناه من حديث أبي هريرة رفعه بلفظ : « من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن » . (**على التشريف والإكرام**) والمعنى انه وضع في الأرض للتقبيل والاستلام تشريفاً له كما شرفت اليمين وأكرمت بوضعها للتقبيل دون اليسار في العادة فاستعير لفظ اليمين للحجر لذلك أو لان من قبله أو استلمه ، فقد فعل ما يقتضي الإقبال عليه والرضا عنه وهما لازمان عادة لتقبيل اليمين . والحاصل أن لفظ اليمين استعير للحجر للمعنيين أو لأحدهما ، ثم أضيف إضافة تشريف وإكرام ، (**لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه**) المحال ، ويتأمل بعض الآيات والاخبار دون بعض على حكم التمني والتشهي ليس في الشرط ، والمقصود من هذه المعارضة انه يعرف أن الخصم يضطر إلى التأويل ، فلتكن التأويلات على وفق الأصول .

فإن قيل : فهذا يشعر بكونه مغلوباً مقهوراً قبل الاستواء . قيل : إنما يشعر بما قلتم أن لو كان للعرش وجود قبل الخلق وكان قديماً والعرش مخلوق وكل ما خلقه حصل مسخراً تحت خلقه فلولا خلقه إياه لما حدث ، ولولا ابقاؤه إياه لما بقي ونص على العرش لأنه أعظم المخلوقات فيما نقل إلينا ، وإذا نص على الأعظم فقد اندرج تحته ما دونه .

قال ابن القشيري : ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام : ١٨] بذلك أيضاً حتى يقال : كان مقهوراً قبل خلق العباد . هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم ، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغير واعوجاج سابق على وقت الاستواء ، فإن الباري تعالى كان موجوداً قبل العرش ، ومن أنصف علم أن قول من يقول : العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول : الرب بالعرش استوى ، فالرب إذاً موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة ، ثم قال : وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استزلالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم . يقولون : نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الموهمة تشبيهاً والأخبار المقتضية حداً وعضواً على الظاهر ، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك ويتمسكون بقول الله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران :

المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال.

٧] وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالاعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري اهـ.

ثم ذكر المصنف المحال الذي يلزم من تفسير الاستواء بالاستقرار والتمكن فقال: هو (**كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال وما يؤدي إلى المحال محال**) . وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكاناً لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذاً متشكل بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعاً كان هو مربعاً أو كان مثلثاً كان هو مثلثاً وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على المكان ويشعر ذلك بأنه متجزىء وله كل ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنه ربعه أو خمسه وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلا بتحديد، وتتطرق إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على الباري تعالى فتجوّزه في حقه كفر من معتقده، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكون وقبيح وصف الباري بالكون، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسته جاز عليه مباينته، ومن جاز عليه المباينة والمماسة لم يكن إلا حادثاً، وهل علمنا حدوث العالم إلا بجواز المماسة والمباينة على أجزائه؟ وقصارى الجهلة قولهم كيف يتصوّر موجود لا في محل، وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يعرف غورها وقعرها إلا كل غوّاص على بحار الحقائق وهيهات، طلب الكيفية حيث يستحيل محال، والذي يدحض شبههم أن يقال لهم قبل أن يخلق العالم أو المكان، هل كان موجوداً أم لا؟ فمن ضرورة العقل أن يقول: بلى فيلزمه لو صح قوله: لا يعلم موجوداً إلا في مكان أحد أمرين إما أن يقول المكان والعرش والعالم قديم، وإما أن يقول الرب تعالى محدث وهذا مآل الجهلة والحشوية ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم ونعوذ بالله من الحيرة في الدين.

قال ابن الهمام في المسايرة: على نحو ما ذكرنا في الاستواء يجري كل ما ورد في الكتاب والسنّة مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالأصبع والقدم واليد والعين فيجب الايمان به مصحوباً بالتنزيه، فإن كلاً منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به، وقد يؤوّل كل من ذلك لأجل صرف فهم العامة عن الجسمية وهو ممكن أن يراد ولا يجزم



تأليف
العلامة الشيخ محمد زكريا بن محمد بن يحيى الكاندهلوي

تحقيق
أيمن صالح شعبان
مدير مركز تحقيق النصوص

الجزء الرابع

يحتوي على الكتب التالية:
صلاة الخوف - صلاة الكسوف - الاستسقاء - القبلة - القرآن
الجنائز

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

أحمد المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عنه ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ ، انتهى.

(ينزل ربنا) اختلف في ضبطه فقيل: بضم الياء من الإنزال فيكون معدى إلى مفعول محذوف أي ينزل الله ملكاً، والدليل على صحته رواية النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعاً: إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له، الحديث، وصححه عبد الحق، وعلى هذا فلا إشكال في الرواية، وأما على ما هو مشهور في ضبطه وهو بفتح الياء من النزول فمشكل، لما فيه من معنى الانتقال، ويزيد هذه الرواية ما في مسلم بلفظ «ينتزل ربنا» بزيادة التاء، قال البيضاوي: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه وتقدس منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، انتهى.

فالعلماء على قسمين: الأول: المفوضة، قال الزرقاني: فالراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والليث والأوزاعي وغيرهم، وقال البيهقي: هو أسلم يدل عليه اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب، فحينئذ التفويض أسلم، انتهى.

والقسم الثاني: المؤولة، واختلفوا في تأويله على أنحاء، منها قال ابن العربي: إن النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن نزول ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه فالأول حسي صفة الملك المبعوث بذلك أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمي ذلك نزولاً من مرتبة إلى مرتبة يعني أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم، وحكي عن مالك - رضي الله عنه - أنه أوله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أي أمر أتباعه بأمره، وقال ابن عبد البر: قال قوم ينزل رحمته وأمره وليس بشيء، لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيرهم، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب في الاستجابة ذلك الوقت.

وقال الباجي: إخبار عن إجابة الدعاء في ذلك الوقت وإعطاء السائلين ما سألوه وتنبيه على فضيلة الوقت كما روي بقول الله تعالى: [إذا تقرب إلي عبدي شبراً تقربت إليه

قراعًا] الحديث ، لم يرد التقرب في المسافة إنما أراد التقرب بالعمل من العبد والتقرب بالإجابة من الله تعالى ، وفي العتبية : سألت مالكًا عن الحديث الذي جاء في جنازة سعد بن معاذ في العرش ، فقال : لا يتحدثن به وما يدعو الإنسان إلى أن يتحدث به ، وهو يرى ما فيه من التغرير ، وحديث إن الله خلق آدم على صورته ، وحديث الساق ، قال ابن القاسم : لا ينبغي لأحد يتقي الله أن يحدث بمثل هذا ، قيل فالحديث الذي جاء «إن الله سبحانه ضحك» فلم يره من هذا وأجازه ، وقال : وحديث النزول ويحتمل أن يفرق بينهما من وجهين :

أحدهما أن حديث النزول والضحك أحاديث صحاح لم يطعن في شيء منهما وحديث اهتزاز العرش قد تقدم الإنكار له والمخالفة فيه من الصحابة ، وحديث الصورة والساق ليست أسانيدها تبلغ في الصحة درجة حديث التنزل .

والوجه الثاني : أن التأويل في حديث التنزل أقرب وأبين والغرر بسوء التأويل فيهما أبعد والله أعلم ، انتهى.

(تبارك وتعالى) جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه وهو كل ليلة في وقت خاص كما سيأتي (إلى السماء الدنيا) قيل عبارة عن الحالة القريبة إلينا والدنيا بمعنى القربى . وقيل ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأراذل وقهر الأعداء والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الجمال والإكرام للرحمة والعفو (حين يبقى ثلث) بضم لام وسكونه (الليل) بالجر (الآخر) بالرفع صفة ثلث والتخصيص بالليل ، والثلث الآخر لأنه وقت سكونه ، ووقت التهجد وغفلة الناس عن التعرض لنفحات رحمته تعالى ، فتكون النية خالصة ، والرغبة وافرة ، ولم تختلف الروايات عن الزهري في تعيين الوقت ، واختلف عن أبي هريرة في ذلك ، وجملة ما روي عنه خمس روايات :

إحداها : المذكورة ، وهي رواية مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وشعيب بن أبي حمزة ومعمر بن راشد ويونس بن يزيد ومعاذ بن يحيى وعبيد الله بن أبي زياد وعبد الله بن أبي زياد ابن سمعان وصالح بن الأخضر كلهم عن ابن شهاب ، وهكذا رواه الأعمش عن أبي صالح ومحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ويحيى بن أبي كثير عن أبي جعفر عن أبي هريرة ، قاله العيني .

والثانية : رواية أبي سلمة وغيره عنه بلفظ حين يمضي ثلث الليل الأول .





في الرد على ابن زفيل

الامام الحجة أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي
السبكي الكبير المتوفى سنة ٧٥٦
يرد به على نونية ابن القيم

ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثري
عفي عنهما

تقديم لجنة
من علماء الازهر

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف جامع الازهر ت : ٥١٠٩٨٨٧

كفه وبيته تطوى السماء وينزل[1] في الدجى في الثلث الأخير والثلث الثاني وأن له نزولاً[2] ثانياً يوم القيامة للقضاء، وأنه يبدو جهرة لعباده، حتى يرونه ويسمعون كلامه وأن له قدماً[3] وأنه واضعها على النيران وأن الناس كل منهم

فاعل إزاء هذا وهم قد فعلوا بي ما ترونه ؟ ويعللون هذا بما فعله نمروذ من توجيهه الرمي إلى السماء ليقتل إله إبراهيم عليه السلام فاهمين أن سهمه أصاب ساق الله فبقيت مربوطة من أثر الجرح في ذلك اليوم . فهل رأى القارىء كفرا أشنع من هذا وأبعد من هيبة الرب سبحانه وتقديره حق قدره وأدل على ذهاب العقول ؟ قاتلهم الله .

(١) قال ابن حزم في الفصل : إن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا في ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله في إبطال القول بالتجسيم اهـ وفي بعض طرق الحديث ما يعين أنه إسناد مجازي ، ففي سنن النسائي (ان اللــه يأمر ملكا ينادي ...) وفي شرحي البدر العيني وابن حجر على البخاري بسط واف في المسألة .

(٢) ولفظ التنزيل ﴿ وجاء ربك ﴾ [الفجر : ٢٢] قال أحمد : أمره ، وقد بينه في قوله تعالى ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ [النحل : ٣٣] رواه ابن حزم وأبو يعلى وابن الجوزي . قال الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها فقال : (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى).

(٣) وضع القدم مجاز مشهور عن التسكين وعن الردع والقمع . راجع أساس البلاغة والفائق ودفع شبه التشبيه وأساس التقديس . والأخيران مهمان جداً في الرد على الحشوية ، وهما مطبوعان يسهل تناولهما ففيهما غنية عن التوسع بأكثر مما ذكر .

ردود على أباطيل

ورسائل الشيخ محمد الحامد

القسم الثاني

تأليف الفقير إليه تعالى

الشيخ محمد الحامد

مدرّس وخطيب جامع السلطان بحماة

ومدرّس الديانة بثانوية ابن رشد فيها

حققه وراجعه

خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

منشورات المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من أدركته ما له عقل
وما زلت أجلو عنهمُ كل خلّةٍ من الاعتقاد الرّذل يُجمع الشمل

إلى آخرها فانظرها فيه وطالع الكتاب فإنه شريف نفيس.

وصفوه القول أن المتشابهات لا تؤخذ بظواهرها، وللعلماء فيها مسلكان فالسلف منهم يؤولونها تأويلاً إجمالياً بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ولم يعينوا ذلك المعنى بل فوضوه إلى الله تعالى وتبارك. والخلف يؤولونها تفصيلا بتعيين معانيها بما تفهمه لغة العرب ويصرفونها عن ظاهرها أيضاً كالسلف.

ومذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ولا يصار إلى مذهب الخلف إلا عند الخوف من تزلزل العقيدة وخشية التشبيه.

ومن المتشابه الحروف المقطعة أوائل السور. ومذهب السلف فيها ترك الخوض فيها ورد علم معانيها إلى الله تعالى وهذا هو الذي عليه الجماهير من العلماء.

وهناك مذهب فيها له اعتبار علمي أيضاً وهو أن المقصود من افتتاح السور بها هو التحدي للعرب بأن يأتوا إن استطاعوا بكتاب كالقرآن الكريم فإنه كما ترون مركبة كلماته من حروف اللغة العربية التي تتكلمون بها

وإن مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم. ومذهب الخلف لا يصار إليه إلا عند الاضطرار لدرء خطر التشبيه أو ضرر التعطيل. وكل من هذين زيغ وضلال وخروج عن سواء الصراط وارتكاس في حمأة الشر والسوء، ولا سوء يعدل السوء في العقيدة والخبط فيها والعياذ بالله تعالى وتبارك.

الله سبحانه وتعالى منزه عن الحركة والسكون والصعود والهبوط والتقدم والتأخر لأن هذا كله يتصف به المخلوق والله ليس بمخلوق ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾.

والنزول إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل يجري فيه المذهبان للسلف والخلف. فالأولون يقولون آمنا به كما يليق بالله ولا هبوط ولا صعود ولا حركة ولا سكون والله أعلم بالمراد منه. والخلف يقولون هو إقبال على الخلق باستجابة الدعاء وإنزال الرحمة وقبول التائبين ورزق المسترزقين والمغفرة للمستغفرين. وبعض كبار العلماء يقول إن الذي ينزل هو مَلك ينزل بأمر الله عز وجل وينادي بما يأمر ربه عز وعلا.

وقوله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أي من في السماء ملكوتُه وملائكته ومنها تتنزل أوامره ونواهيه وقضاياه

كتاب

التهجد وقيام الليل

للأئمة الأعلام
ابن أبي الدنيا والبخاري وابن حجر
رحمهم الله تعالى

إعداد
الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

الحديث

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ.

الشرح

قوله: (عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة) في رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، " أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو عبد الله الأغر صاحب أبي هريرة، أن أبا هريرة أخبرهما".

قوله: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) استدل به من أثبت الجهة وقال: هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم.

ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلا وإما عنادا.

ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي، وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم.

ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.

ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدا مهجورا فأول في بعض وفوض في بعض، وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.

قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض أسلم.

وسيأتي مزيد بسط في ذلك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

وقال ابن العربي: حكي عن المبتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول.

فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة انتهى.

والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه.

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا، ويقويه ما رواه النسائي، من طريق الأغر، عن أبي هريرة وأبي سعيد، بلفظ: "**إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل، ثم يأمر مناديا يقول: هل من داع فيستجاب له**" الحديث.

وفي حديث عثمان بن أبي العاص "**ينادي مناد هل من داع يستجاب له**" الحديث.

قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني " ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا يسأل عن عبادي غيري " لأنه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور.

وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور



في حجج
أهل الحقِّ والسَّداد

جمع وترتيب

صبحي عليوي حمدان عليوي

راجعه وقدَّم له

الشيخ محمَّد عادل عزيزة الكيالي

دكتوراه في الحديث الشريف (جامعة الأزهر)

قرأه ودقَّقه

الشيخ عبد العزيز عطورة

ماجستير في الحديث الشريف وعلومه



من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فـأغفر لـه» وفي رواية أخرى أضاف: «فلا يزال كذلك حتى يـضيء الفجـر» صـحيح مسلم واللفظ له وصحيح البخاري وموطأ مالك ورواه أصحاب السنن: أبو داود والترمذي والدارمي.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: هذا الحـديث مـن أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمـين: أنـه يـؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنـا غـير مـراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعـن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي: أنها تتأول على ما يليق بها بحـسب مواطنهـا فعـلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين:

أحدهما: تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره: معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته. كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره.

والثاني: عـلى الاسـتعارة ومعنـاه: الإقبـال عـلى الـداعين بالإجابـة واللطف (شرح النووي على صحيح مسلم).

آيات الصفات

ومنهج ابن جرير الطبري في تفسير معانيها

مقارنًا بآراء غيره من العلماء

تأليف

الدكتور حسام بن حسن صرصور

وفي آخر الكتاب

رسالة الإمام محمد بن جرير الطبري في العقيدة

صريح السنة

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

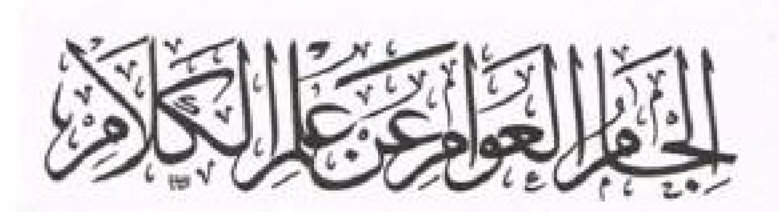
بيروت - لبنان

ويبدو أن ابن خزيمة وإن كان من العلماء إلا إنه ليس من أهل العلم في العقائد كما يظهر ذلك من تراجعه عما قاله كما ذكر ذلك الإمام البيهقي.

وككتاب للخلال، والرد على بشر المريسي للدارمي وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكتب ابن تيمية وابن القيم والأسماء والصفات للبيهقي وغير ذلك من الكتب التي جمعت هذه الألفاظ حتى صار القارئ يرسم صورة مشوهة لله تعالى عن ذلك !

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر مثارها من الآي المتشابهة فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة إلى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولنبين لك تفصيل هذا المجمل: وذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الإيمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه، وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى قليلة توهم التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم: اقرؤوها كما جاءت أي آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له، وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففريق أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة لأن معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا عنها غنية وجمع بين الدليلين بتأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لأنه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات إن كان بالمعقولية واحدة من الجسم وإن خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق إلا جعلهم لفظ الجسم اسماً من أسمائه ويتوقف مثله على الأذن وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك أولى قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم: صوت لا كالأصوات، جهة لا كالجهات، نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما اندفع به الأول، ولم يبق في هذه الظاهر إلا اعتقادات السلف ومذاهبهم والإيمان بها كما هي لئلا يكر النفي على معانيها بنفيها مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فإنهم يحرمون على هذا المعنى ولا تغمض عينيك عن القرائن الدالة على ذلك في غضون كلامهم»[1].

(١) مقدمة ابن خلدون(ص/ ٤٦٣-٤٦٤)لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤.



تأليف

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

تصحيح و تعليق و تقديم

محمد المعتصم بالله البغدادي

الناشر

دار الكتاب العربي

الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في أجسام مؤلفة مولدة مرتبة ترتيباً مخصوصاً مثل الأنف والعين والفم والخد التي هي أجسام وهي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا هو ترتيب في أجسام كقولك عرف صورته وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن أن الصورة في حق الله لم تطلق لإرادة المعنى الأول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من أنف وفم وخد فإن جميع ذلك أجسام وهيئات في أجسام وخالق الأجسام والهيئات كلها منزه عن مشابهتها وصفاتها وإذا علم هذا يقيناً فهو مؤمن فإن خطر له أنه إن لم يرد هذا المعنى فما الذي أراده فينبغي أن يعلم أن ذلك لم يؤمر به بل أمر بأن لا يخوض فيه فإنه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي أن يعتقد أنه أريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض ، في جسم .

مثال آخر : إذا قرع سمعه النزول في قوله ﷺ : « ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا[1] فالواجب عليه أن يعلم أن النزول اسم مشترك قد يطلق إطلاقاً يفتقر فيه إلى ثلاثة أجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم سافل كذلك وجسم منتقل من السافل إلى العالي ومن العالي إلى السافل فإن كان من أسفل إلى علو سمي صعوداً وعروجاً ورقياً ، وإن كان من علو إلى أسفل سمي نزولاً وهبوطاً وقد يطلق على معنى آخر ولا يفتقر فيه إلى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾[2] وما رؤى البعير والبقر نازلاً من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة في الأرحام ولإنزالها معنى لا محالة كما قال الشافعي[3] رضي الله عنه : دخلت مصر فلم

(١) حديث النزول : أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له » وفي الرواية الثانية « ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » . . وهناك روايات أخرى .

(٢) سورة الزمر آية ٦ وقد أخرج الحديث أيضاً مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده . بألفاظ آخر . . وقد أخرج الحديث أيضاً مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده . . .

(٣) الشافعي : هو الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي المطلبي أحد الأئمة الأربعة ولد بغزة في

يفهموا كلامي فتنزلت ثم تزلت ثم نزلت فلم يرد به انتقال جسده إلى أسفل فتحقق المؤمن قطعاً أن النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الأول وهو انتقال شخص وجسد من علو إلى أسفل فإن الشخص والجسد أجسام والرب جل جلاله ليس بجسم فإن خطر له أنه لم يرد هذا فما الذي أراد فيقال له أنت إذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فأنت عن فهم نزول الله تعالى أعجز فليس هذا بعشك فادرجي[1] واشتغل بعبادتك أو حرفتك واسكت واعلم أنه أريد به معنى من المعاني التي يجوز أن يراد بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وإن كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته .

مثال آخر : إذا سمع لفظ الفوق في قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾[2] وفي قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾[3] فليعلم أن الفوق

فلسطين سنة ١٥٠ هـ /٧٦٧ م وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وبمدينة الرسول ﷺ ، وقدم بغداد مرتين وحدّث بها ، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م في آخر يوم من رجب . قرأ الموطأ على مالك وحفظه ثم رواه عنه . ودرس فقه العراقيين . وقرأ كتب الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمه الله ، وقرأ عليه وروى عنه . فاجتمع له علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي . ويعتبر بحق أول من ألف ودون في علم أصول الفقه . ضمنه كتابه الرسالة ورسائل أخرى .

من تصانيفه الكثيرة كتاب الأم ، والرسالة ، وجماع العلم ، وأحكام القرآن ، والمسند ، واختلاف الحديث الخ . . . راجع : معجم المؤلفين ج ٩ ـ ص ٣٢ ، سير النبلاء للذهبي ٧ : ١٤٧ عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ٣ : ٢/٢٢٩ ـ ١/٢٣٣ مناقب الامام الشافعي للرازي ـ فخر الدين ـ

تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ ـ ٧٣ الفهرست لابن النديم ١ : ٢٠٩ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٥٦٥ ـ ٥٦٨ .

ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٢٨١ ـ ٣٢٧ أبو نعيم الحلية ٩ : ٦٣ الوافي بالوفيات للصفدي ط ١ ظ . ظ ـ ١٨١ .

اليافعي مرآة الجنان ٢ : ١٣ ـ ٢٨ طبقات الشافعية للسبكي ، محمد أبو زهرة : الشافعي .

عبد الحليم الجندي : الشافعي ـ هدية العارفين للبغدادي ٢ : ٩ . . . الخ .

(١) ليس هذا بعشك فادرجي : أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق فدعيه . ودَرَج مشى ومضى . ويضرب هذا المثل لمن يرفع نفسه فوق قدره ولمن يتعرض إلى شيء ليس منه وللمطمئن في غير وقته . فيؤمر بالجد والحركة . راجع : مجمع الأمثال للميداني ١٨١/٢ ـ وفرائد اللآل للشيخ ابراهيم الأحدب ١٥١/٢ .

(٢) الأنعام ١٨ و ٦١ .

(٣) النحل ٥٠ .





فائدة مهمة في بيان تأويل المجيء الوارد في قوله تعالى

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

فائدة مهمة:
تفسير قوله تعالى
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾

يوم القيامة ينزلُ ملائكةٌ يُحيطون بالإنس والجنّ هم يكونون ضمن سبعة صفوف، الملائكةُ يكونون في سبعة صفوف في وقت من الأوقات الكافرُ يُنكرُ أنّهُ كان يعبُدُ غيرَ الله. فإن قيل: فقد قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥) وقال: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨) وقال: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٧٤) وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار. قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان.

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الحجر: ٩٢ - ٩٣).

قال أهل التأويل: عن لا إله إلا الله. وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دثارهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها، فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها:

عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (العنكبوت: ١٢ - ١٣) والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ (المؤمنون: ١٠١) إلى آخرها تبين له الصواب في ذلك، والحمد لله على ذلك. ففي موقف من مواقف القيامة الله يَختمُ على فم الكافر فتنطقُ أعضاؤه، تشهَدُ عليه أعضاؤه بما كان يَعمَلُ من الكفر، هذا من العجائب التي يُظهرُها الله يومَ القيامة كذلك الأرض التي كان عملَ عليها الإنسانُ شرًّا أو خيرًا، الله يُنطقُها، هذا الجزءُ من الأرض يشهَدُ عليه بما فَعَلَ من السيئات ويشهَدُ للمؤمن بما فَعلَ من الخيرات. الذهبُ الذي كان الشخصُ لا يُزكّيه يكونُ جَمرًا يُعيدُهُ الله فيُحمى في نار جَهَنَّم يسير مثل الجمر ثم يكوى به جنب وجبهة وظهر الذي كان لا يُزكّيه. ويُعيدُ الله البقرَ الذي كان لا يُزكّيه الشَّخصُ فتنطحه بقرونها وكذلك الإبل تدوس بخفافها الشخص الذي كان لا يُزكّيها وكذلك في ذلك اليوم تَظهَرُ عجائبُ أخرى. هذه العجائب الله قالَ عنها: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾.

وجاءَ ربُّكَ معناهُ تلك العجائب التي تَظهَرُ يوم القيامة. ثمَّ الملائكةُ يَجُرُّون جُزءًا من جَهَنَّم كبيرًا سبعون ألف ملَك بسبعين ألف سلسلة

يَجُرُّونها إلى حيثُ يراها الكفار قبل أن يدخُلُوا جَهَنَّم. ولو كان يوجد موت هناك لمات الكفار من شدّة هول ذلك المنظر لكن هناك في الآخرة لا يوجد موت. في الدنيا مَن اشتَدَّ عليه الألم قد يموت أمّا في الآخرة لا يموت. أهلُ السُّنَّة يقولون: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ ﴾، وجاء ربُّك أي ظهَرَت عجائبُ قُدرة الله لا يقولون جاء الله من فوق إلى تحت لا، هذا كفر. الوهابيةُ يقولون الله يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليُحاسب الخَلق جَعلوا الله سبحانه وتعالى كالملك الذي يُقابلُ الرعية. الله للحجم ليس الله، الذي يَظنُّ أنَّ الوقوفَ بين يدي الله يوم القيامة القرب منه بالمسافة هذا ما عَرَفَ الله. الوهابيةُ يُفَسِّرُون ءايات القرءان على الظاهر وهذا لا يجوز، الذي يُفَسّر كُلّ ءايات القرءان على الظاهر يَكفر كما قالَ سيّدُنا أحمدُ الرّفاعي رَضيَ الله عنه: صونوا عقائدكم من التَمسّك بظواهر ما تشابه من الكتاب والسّنّة فغن ذلك من أصول الكفر. ا.هـ أي أوقع كثيرًا من الناس في الكفر. كذلك أهلُ السُّنَّة يقولون المؤمنون بعد أن يستَقرّوا في الجنة يَرون الله، ليس مَعناه أنَّ الله مُستَقرٌّ في الجَنَّة، وليس مَعناه أنَّهم يرونَهُ ذاتًا قريبًا منهم وليس معناه أنَّهم يَرونَهُ ذاتًا بعيدًا عنهم، يَرونَهُ بلا كيف ولا جهة لا يَرونَهُ هكذا إلى فوق ثُمَّ أهلُ الجَنَّة لمّا يَرونَ الله بعدج استقرارهم في الجَنَّة لا يَشُكّون انَّهُ الله لأنَّهم رَأوا شيئًا لا مثلَ له لذلك لا يَشُكُّون أنَّهُ الله. ا.هـ

أحمدُ بنُ حنبلٍ يُجوِّزُ التَّأويلَ الَّذي هُوَ مُوافقٌ لِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَلُغَةِ العَرَبِ لذلك أَوَّلَ قَولَهُ تعالى: وجاء ربك والملك صفا صفا. قال:

«جاءَ أَمْرُهُ»، وَفِي روايةٍ: «جَاءَتْ قُدْرَتُهُ»، معناهُ الله يُظهِرُ يومَ القيامةِ أهوالا عظيمةً، هِيَ ءاثارُ قُدرةِ الله، وَلَو كَانَ الإمامُ أحمدُ مُجَسِّمًا كأَدْعِياءِ السَّلَفِيَّةِ في هذا الزَّمَانِ لَمَا أَوَّلَ الآيَةَ وَلَكَانَ أَخَذَ بِظَاهِرِهَا. أمَّا المُجَسِّمَةُ أدْعِياءُ السَّلَفِيَّةِ فيقولونَ: «التَّأويلُ تَعْطِيلٌ» اهـ

والتَّعْطِيلُ هُوَ نَفيُ وُجودِ الله تعالى أو صِفَاتِهِ فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ حَكَمُوا على أَحْمَدَ بِالكُفرِ لأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مُعَطِّلا، فَكَيْفَ بَعْدَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ الانْتِسَابَ إِلَيْهِ.

أحمدُ بنُ حنبلٍ يُنزِّهُ الله عنْ أنْ يَكُونَ مُتَصَوَّرًا، فَقَدْ ثَبَتَ عنهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فالله بِخِلافِ ذَلِكَ»، رواهُ أبو الحَسَنِ التَّمِيميُّ الحَنْبَلِيُّ في كِتَابِهِ المُسَمَّى اعتقادُ الإمامِ المُبَجَّلِ أحمدَ بنِ حَنبلٍ، وقولهُ هَذَا مَأخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الرسول ﷺ: «لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ» رَوَاهُ أَبُو القَاسِمِ الأَنْصَارِيُّ.

المقالات السنية

في كشف

ضلالات أحمد بن تيمية

تأليف
خادم علم الحديث الشريف
الشيخ عبد الله الهرري
المعروف بالحبشي غفر الله له ولوالديه

دار المشاريع

المقالة الخامسة

قوله بالانتقال والحركة والنزول في حق الله تعالى

أما قوله بنسبة الحركة في حق الله تعالى فقد ذكر في كتابه المنهاج ما نصه[١]: «فإنا نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟» اهـ.

وقال في الموافقة ناقلاً كلام الدارمي المجسم ما نصه[٢]: «لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصه[٣]: «وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وعبد الله ابن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات» اهـ.

أما قوله بالنزول في حق الله تعالى فقد ذكره في كتابه شرح حديث النزول فقال ما نصه[٤]: «لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب

---

(١) انظر الكتاب (١/ ٢١٠).
(٢) انظر الكتاب (٢/ ٢٦).
(٣) انظر الموافقة (٢/ ٤ ـ ٥).
(٤) شرح حديث النزول (ص/ ٣٨).

ي من «اثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما و
سه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة» اهـ.

وقال في كتابه المنهاج ما نصه[1]: «ثم إن جمهور أهل السنة يقو
ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن إسحق بن ر
حماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول وكتابه الفتاوى ما نصه[2]: «و
الث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا
ق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا
ن العرش فوقه» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول أيضًا[3]: «وحينئذ فإذا قال ال
لأئمة كحماد بن زيد وإسحق بن راهويه وغيرهما من أئمة أهل الس
ل ولا يخلو منه العرش لم يجز أن يقال: إن ذلك ممتنع» اهـ، ثم
نصه[4]: «وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقا
لزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش ويقرب
ه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف» اهـ.

فليُنظر إلى هذه الأقوال من ابن تيمية وما ذلك منه إلا تمويه،
ب الرأي الذي يعجبه إلى أئمة أهل الحديث أو السلف وهم بر
ذلك، ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن أحد من أئمة الحديث إلا
ن من المجسمة المنتسبة إلى الحديث كأمثال الذي قال: ألزموني
م غير اللحية والعورة.

انظر الكتاب (١/ ٢٦٢).

وليُعلم أن نفي الحركة والسكون عن الله هو ما أطبق عليه علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية لا يعلم في ذلك خلاف بل هو معنى قول الإمام الحافظ السلفي أبي جعفر الطحاوي في عقيدته: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» أليس من معاني البشر الحركة والسكون والجلوس، أليس تضمن تأويل الإمام أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] «جاءت قدرته» نفي الحركة والسكون عن الله والتحيز في العرش، فلو كان يعتقد المجيء على ظاهره لما أوّل بل ترك اللفظ على ما هو عليه كما هو معتقد المشبهة، فإن لم تكن الحركة والسكون من معاني البشر فما هي معاني البشر، فإن الله جعل بعض العالم ساكنا كالسموات السبع والعرش وجعل بعض العالم متحركًا دائمًا وهي النجوم، وجعل بعض العالم متحركًا تارة وساكنًا تارة كالملائكة والإنس والجن والدّوَاب؛ فكيف يصح أن يوصف الخالق بأحدهما، فلو كان متصفًا بأحدهما لكان له أمثال كثير وذلك ينافي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] فلو فهمت قول السلف في أحاديث الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، فما معنى الكيف إلا نفي صفات الخلق عن الله ومنها الحركة والسكون.

وليس معنى قول السلف: «بلا كيف» إثبات الحركة والسكون والتنقل لله تعالى على ما توهمه بعض ظواهر الآيات والأحاديث.

ويكفي في الرد عليه ما ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات نقلًا عن الحافظ أبي سليمان الخطابي ما نصه[1]: «وقد زلّ بعض شيوخ أهل الحديث ممن يُرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه فقال: إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل كيف يشاء، فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء يتحرك وإن شاء لم يتحرك، وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤٥٤ - ٤٥٥).

يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدَث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]. فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يُدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطإ الفاحش» اهـ.

وقال[1] في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النحل] ما نصه: «لم يُرد به إتيانًا من حيث النقلة» اهـ، وقال[2] في حديث النزول ما نصه: «إنه ليس حركة ولا نُقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] ما نصه[3]: «والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جلّ الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا» اهـ.

قال القرطبي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه[4]: «وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرًا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا فيقول هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى**»، صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال، وأن الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول، وقد روى «يُنْزِل» بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا» اهـ.

---

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٤٩).
(٢) الأسماء والصفات (ص/٤٤٩).
(٣) الأسماء والصفات (ص/٤٥٦).
(٤) تفسير القرطبي (٤/٣٩).

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه[1]: «استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يُفضي إلى التحيّز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال» اهـ، وأفاض في ذكرهما، ثم قال: «وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكًا، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: **«إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له»** الحديث. وفي حديث عثمان بن أبي العاص: **«ينادي مناد هل من داع يستجاب له»** الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال» اهـ.

قلت: وحديث عثمان بن أبي العاص أخرجه أحمد[2] في مسنده بلفظ: **«ينادي منادٍ كل ليلة: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مستغفر فيغفر له، حتى ينفجر الفجر»**، وأخرجه الطبراني[3] عنه بلفظ: **«تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه»**، الحديث، قال الحافظ الهيثمي[4] عقبه: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري قول البيضاوي ونصه[5]: «وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه» اهـ.

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٠).
(٢) مسند أحمد (٤/ ٢٢).
(٣) المعجم الكبير (٩/ ٥١).
(٤) مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٣).
(٥) فتح الباري (٣/ ٣١).

وقال البيهقي في مناقب أحمد[1]: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو ابن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا عليّ يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] إنما يأتي قدرته، وإنما القرءان أمثال ومواعظ.

قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السُّنّة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه». اهـ.

ونقل الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في تفسيره زاد المسير[2] عن الإمام أحمد أنه فسّر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النحل] بمجيء أمره والقرءان يفسر بعضه بعضًا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف] فيه دليل على صحة رواية النسائي[3]: «**إنّ الله عز وجلّ يمهلُ حتى يمضيَ شطرُ الليلِ الأول ثم يأمر مناديًا...**» فكما أن الله تعالى نسب نداءَ المَلَكِ لآدمَ وحواءَ إلى نفسه لكونه بأمره، فكذلك صح إسنادُ نزولِ الملك إلى السماء الدنيا ليبلّغ عن الله: «**هل من داعٍ فيستجيبَ الله له، وهل من سائلٍ فيُعطى، وهل من مستغفرٍ فيغفرَ له**»

(١) نقله عنه ابن كثير في تاريخه (١٠/٣٢٧).
(٢) زاد المسير (١/٢٢٥).
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: عمل اليوم والليلة: باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار.

إلى الله. وفي الآية أيضًا دليلٌ على أن نداء الملك لبعض خلقِ الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوتٌ يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردُّ اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك: هل من مستغفر فأغفرَ له وهل من داع فأستجيبَ له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف] كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمرُ الملكَ بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأعطيَه إلى ءاخر ما ورد فيه، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفرني فأغفرَ له ومن يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأعطيه. ونظيرُ هذا ما جاء في القرءان من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة]، فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة القيامة] معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرءان على رسول الله كما يقرأ المعلمُ على التلميذ، فبهذا ينحلّ الإشكال الذي يخطر لبعض الناس.

ويلزم من التمسّك بظاهر رواية البخاري ومالك وغيرهما[1] لحديث النزول المشهور أن يكون الله فيما بين النصف الثاني من الليل والفجر مستمرًا في النزول والصعود إن حملوا النزول بالنسبة لكل أرض، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد فنصف الليل في بلد هو أول النهار في بلد ءاخر وقد يكون في أرض أول الليل أو أقل أو أكثر، وإن حملوا النزول على أرض واحدة فيما بين انتصاف ليلها وفجرها فبأي حجة خصصوا النزول بأرض واحدة، والحديث ليس فيه بأرض كذا.

(١) أخرجه مالك في الموطإ: كتاب القرءان: باب ما جاء في الدعاء، والبخاري في صحيحه: كتاب التهجد: باب الدعاء والصلاة من ءاخر الليل، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب الترغيب في الدعاء والذكر في ءاخر الليل والإجابة فيه.

قال بدر الدين بن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه[1]: «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه.

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: منتقل، ومنتقل عنه، ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئًا فشيئًا، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهارًا من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزولُه فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين، إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضاؤل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين». اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في السنن الكبرى[2] ما نصه: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمَّد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جلّ الله تعالى عما تقول المعطِّلة لصفاته والمشبِّهة بها علوًّا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٦٤).
(٢) انظر السنن الكبرى (٣/ ٣).

يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلٍ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». اهـ.

فليعلم الجاهلُ الذي لا تمييز له أنه حاد عن الحق الذي اتفق عليه السلف والخلف، فإن من أوّل من السلف والخلف تأويلاً إجماليًا قال في حديث النزول وحديث الجارية وشبههما، وفي ءاية الاستواءِ على العرش والمجيء المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] وشبههما من الآيات: «بلا كيف»، ومرادُهم أن ذلك على غير صفة من صفات الخلق أي ليس النزول كالنزول الحسي ولا الاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار، ولا المجيء بالانتقال والحركة وما هو من صفات المخلوق، فمعنى قولهم بلا كيف أن لهذه النصوص معان ليس فيها تشبيه لصفات الله بصفات الخلق.

وأمّا الذين أوّلوا التأويل التفصيلي كالذين أوّلوا المجيء بمجيء القدرة أي ءاثار قدرة الله، والنزول بنزولِ الملكِ أو نزولِ الرحمة وما أشبه ذلك كتأويل الإمام سفيان الثوري والإمام البخاري وجهَ الله المذكور في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة القصص] بما أريد به وجه الله ويمُلك الله، فلم يصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين، فكِلا الفريقين لم يتمسك بظواهر تلك الآيات وتلك الأحاديث، فكل متفقون على تنزيه الله عن صفات المخلوقين وعلى أن تلك الآيات والأحاديث ليس معانيها المعاني المعهودة من الخلق، فلا أحد من الفريقين يعتقد في حديث النزول أن الله تعالى ينزل نزولا حسيًا كنزول الملائكة والبشر، ولا أحد منهم يعتقد أن معنى الاستواء الجلوس والاستقرار على العرش أو الكون في جهة العلو من غير مماسة، وذلك تمسك منهم بمعنى قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [سورة الشورى] الذي هو تنزيه كليّ، فتردّ تلك الآيات والأحاديث إلى هذه الآية لأنها محكمة. فنفاة التأويل الإجمالي والتفصيلي لا مهربَ لهم من الوقوع في المحال فيصيرون ضُحْكةً عند أهل التمييز والفهم الذين يوفّقونَ بين النقل والعقل.

قال تقي الدين الحصني ما نصه[1]: «وفي مواضع أغراضهم ـ أي ابن تيمية وأتباعه ـ الفاسدة يجرون الأحاديث على مقتضى العُرف والحسّ، ويقولون: ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم يقولون: لا كما يُعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عامي وسيء الفهم، وذلك عين التناقض ومكابرة للحس والعقل، لأنه كلام متهافتٌ يدفع ءاخره أوله وأوله «اخره» اهـ.

(١) دفع شُبه من شبه وتمرد (ص/ ٧ ـ ٨).

تحيل

مُختصَرُ العُلُوّ

للعلي الغفار

تأليف

الحافظ شمس الدين الذهبي

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

الألباني يقول بأن اللفظتين (بذاته) و (بائن) لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة والسلف

البغوي) أنه لا يعجبه تفسير (استوى) بـ « استقر » . بل إنه بالغ في إنكار لفظة « بذاته » على جمع ممن قال: «هو تعالى فوق عرشه بذاته» لعدم ورودها عن السلف ، مع أنها مفسرة لقولهم باستواء الله على خلقه حقيقة استواء يليق بجلاله وكماله ، واعتبرها من فضول الكلام ، فانظر ترجمة (١٣٣ - ابن أبي زيد) و (١٤١ - يحيى بن عمار) و (١٤٣ - أبو عمر الطَّلَمَنكي) و (١٤٦ - أبو نصر السجزي) .

وهذه اللفظة « بذاته » ، وإن كانت عندي معقولة المعنى ، وأنه لا بأس من ذكرها للتوضيح ، فهي كاللفظة الأخرى التي كثر ورودها في عقيدة السلف وهي لفظة « بائن » في قولهم « هو تعالى على عرشه ، بائن من خلقه » . وقد قال هذا جماعة منهم كما ستراه في هذا « المختصر » في التراجم الآتية (٤٣ - عبدالله بن أبي جعفر الرازي) و (٥١ - هشام بن عبيدالله الرازي) و (٥٤ - مُسَدد بن داود المصيصي الحافظ) ، (٦٥ - إسحاق بن راهويه ، عالم خراسان) وذكره عن ابن المبارك و (٥٧ - أبو زرعة الرازي) و (٧٦ - أبو حاتم الرازي) - وحكياه عن العلماء في جميع الأمصار . و (٧٧ - يحيى بن معاذ الرازي) و (٨٣ - عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ) و (١٠٠ أبو جعفر ابن أبي شيبة) وكل هؤلاء من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ثم (١٠٥ - حماد البوشنجي الحافظ) وحكاه عن أهل الأمصار (١٠٦ - إمام الأئمة ابن خزيمة . و (١٢٢ - أبو القاسم الطبراني) و (١٣٠ - ابن بطة) و (١٣٨ - أبو نعيم الأصبهاني) وعزاه إلى السلف . و (١٣٩ - معمر بن زياد) و (١٥٢ - الفقيه نصر المقدسي) و (١٥٥ - شيخ الإسلام الأنصاري) و (١٦١ - ابن موهب) .

قلت : ومن هذا العرض يتبين أن هاتين اللفظتين : « بذاته » و « بائن » لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة رضي الله عنهم . ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان ، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام ، بلفظ « بائن » دون أن ينكره أحد منهم .

الألباني يعترض على الذهبي و ابن القيم

ومثل هذا تماماً قولهم في القرآن الكريم أنه غير مخلوق . فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضاً ، وإنما كانوا يقولون فيه : كلام الله تبارك وتعالى ، لا يزيدون على ذلك ، وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد ، لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة : إنه مخلوق ، ولكن إذا نطق هؤلاء بالباطل ، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل ، وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن الواقفة الذين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل : « كلام الله » ثم يسكت ؟ قال : ولم يسكت ؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا ، لأي شيء لا يتكلمون ؟![1] سمعه أبو داود منه كما في « مسائله » (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) .

قال

قلت : والمقصود أن المؤلف رحمه الله تعالى ، أقر لفظة « بائن » لتتابع أولئك الأئمة عليها دون نكير من أحد منهم ، وأنكر اللفظة الأخرى وهي « بذاته » لعدم تواردها في أقوالهم ، إلا بعض المتأخرين منهم ، فأنكر ذلك مبالغة منه في المحافظة على نهج السلف ، مع أن معناها في نفسه سليم ، وليس فيها إثبات ما لم يرد . فكنت أحب له رحمه الله أن لا يتردد في إنكار نسبة القعود إلى الله تعالى وإقعاده محمداً ﷺ على عرشه ما دام أنه لم يأت به نص ملزم عن النبي ﷺ ، ومعناه ليس له شاهد في السنة ، ومعناه ولفظه لم يتوارد على ألسنة الأئمة ، وهذا هو الذي يدل عليه بعض كلماته المتقدمة حول هذا الأثر ، ولكنه لما رأى كثيراً من علماء الحديث أقروه لم يجرؤ على التزام التصريح بالإنكار ، وإنما تارة وتارة ، والله تعالى يغفر لنا وله .

ومن العجيب حقاً أن يعتمد هذا الأثر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فإنه نقل كلام القاضي أبي يعلى فيه وبعض أسماء القائلين به ، ثم قال ابن القيم رحمه الله :

---

(١) قلت : ولو أن الشيخ القمي نبه هذا لما قطع على الإمام أحمد بما قطعه به .

الألباني يبيّن كذب ابن القيم على مجاهد و الدارقطني

« قلت : وهو قول ابن جرير الطبري ، وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير ، وهو قول أبي الحسن الدارقطني ، ومن شعره فيه » .

ثم ذكره مثلما ذكره المصنف فيما يأتي في ترجمة (١٣١ ـ الدارقطني) وزاد بيتاً رابعاً لعل المصنف تعمد حذفه :

« ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعده » !

قلت : وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد ، بل صح عنه ما يخالفه كما تقدم . وما عزاه للدارقطني لا يصح إسناده كما بينته في « الأحاديث الضعيفة » (٨٧٠) ، وأشرت إلى ذلك تحت ترجمة الدارقطني الآتية . وجعل ذلك قولاً لابن جرير فيه نظر ، لأن كلامه في « التفسير » يدور على إمكان وقوع ذلك كما سبق لا أنه وقع وتحقق ، ولذلك قال الإمام القرطبي في « تفسيره » (١٠/ ٣١١) :

« وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول ، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى ، وفيه بعد ، ولا ينكر مع ذلك أن يروى ، والعلم بتأويله » .

ثم بين وجه تأويله ، بما لا حاجة بنا إلى ذكره والنظر فيه ، ما دام أنه أثر غير مرفوع ، ولو افترض أنه في حكم المرفوع ، فهو في حكم المرسل الذي لا يحتج به في الفروع فضلاً عن الأصول ، كما ذكرت ذلك أو نحوه فيما يأتي من التعليق على قولة بعضهم : «ولا تتكلم في حديث فيه فضيلة للنبي ﷺ بشيء»! التعليق (٢٦٥) .

ولعل المصنف رحمه الله تعالى يشير إلى ذلك بقوله في ترجمة (١٦٣ ـ القاضي العلامة أبو بكر بن العربي) وقد نقل عنه القول بهذا القعود معه على العرش : قال :

« وما علمت للقاضي مستنداً في قوله هذا سوى قول مجاهد » .

وخلاصة القول : إن قول مجاهد هذا ـ وإن صح عنه ـ لا يجوز أن يتخذ



تأليف
الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
المتوفى ٧٤٨ هـ

تحقيق
مصطفى عبد القادر عطا

الطبعة الوحيدة الكاملة والمزيلة
وتشتمل على السيرة النبوية والخلفاء الأربعة والجزء الأخير المفقود والذيل المسمى "تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء" للفاسي

الجزء السادس

المحتوى:
تتمة الطبقة السادسة والطبقتان السابعة والثامنة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

أبو أحمدَ بنُ عَديٍّ: حدّثنا أحمد بنُ عليٍّ المدائنيُّ، حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ جابرٍ، حدّثنا أبو زيدِ بنُ أبي الغمْرِ، قال: قال ابنُ القاسِم: سألْتُ مالكًا عمَّنْ حدَّث بالحديثِ: الذينَ قالُوا: (إنّ اللهَ خلَقَ آدمَ على صُورتِه)، والحديثِ الذي جاءَ: (إنّ اللهَ يَكْشِفُ عن ساقِه)، (وأنّه يُدخِلُ يَدَه في جهنّمَ حتى يُخرِجَ مَنْ أرادَ). فأنكَر مالكٌ ذلك إنكارًا شديدًا، ونَهى أنْ يُحدِّثَ بها أحدٌ. فقيلَ له: إنّ ناسًا من أهلِ العِلْمِ يتحدّثُونَ به. فقال: مَنْ هو؟ قيلَ: ابنُ عجلانَ، عن أبي الزِّنادِ. قال: لم يَكُنِ ابنُ عجلانَ يعرِفُ هذه الأشياءَ، ولم يَكُنْ عالمًا. وذكرَ أبا الزِّنادِ، فقال: لم يَزَلْ عامِلاً لِهؤلاءِ حتى ماتَ. رَواها: مِقْدامٌ الرُّعَينيُّ، عن ابنِ أبي الغمْرِ، والحارثِ بنِ مِسكينٍ، قالا: حدّثنا ابنُ القاسِم.

قلتُ: أنكَرَ الإمامُ ذلك، لأنّه لم يَثبُتْ عندَه، ولا اتّصلَ به، فهو معذُورٌ، كما أنّ صاحِبَي (الصّحيحَينِ) معذُورانِ في إخراجِ ذلك - أعني: الحديثَ الأوّلَ والثانيَ - لِثُبوتِ سَنَدِهما، وأمّا الحديثُ الثالثُ، فلا أعرِفُه بهذا اللّفظِ، فقولُنا في ذلك وبابِه: الإقرارُ، والإمرارُ، وتفويضُ معناه إلى قائِلِه الصّادقِ المعصُوم.

وقال ابنُ عديٍّ: حدّثنا محمّدُ بنُ هارُونَ بنِ حسّانَ، حدّثنا صالحُ بنُ أيّوبَ، حدّثنا حَبيبُ بنُ أبي حبيبٍ، حدّثني مالكٌ، قال: يَتنزَّلُ ربُّنا - تبارَكَ وتعالى - أمرُه، فأمّا هو، فدائِمٌ لا يزُولُ. قال صالحٌ: فذكَرْتُ ذلك ليحيى بنِ بُكَيرٍ، فقال: حَسَنٌ واللهِ، ولم أسمعْه من مالكٍ.

قلتُ: لا أعرِفُ صالحًا، وحَبيبٌ مشهورٌ، والمحفوظُ عن مالكٍ -رحِمَه اللهُ- روايةُ الوليدِ بنِ مسلمٍ، أنّه سألَه عن أحاديثِ الصِّفاتِ، فقال: أمِرَّها كما جاءتْ، بلا تفسيرٍ.

فيكونُ للإمامِ في ذلك قولانِ إنْ صحّتْ روايةُ حبيبٍ.

أحمد بنُ عبدِ الرّحيمِ بنِ البَرْقيِّ: حدّثنا عَمرُو بنُ أبي سلمةَ، حدّثنا عَمرُو بنُ حسّانَ: أنّ أبا خُليدٍ قال لِمالكٍ: يا أبا عبدِ اللهِ، إنّ أهلَ دِمشقَ يقرَؤُونَ: إبراهامُ. فقال: أهلُ دِمشقَ بأكْلِ البِطّيخِ أعلَمُ منهم بالقِراءةِ. قال له أبو خُلَيدٍ: إنّهم يدّعُونَ قراءةَ عثمانَ. قال مالكٌ: فهذا مُصحَفُ عثمانَ عندي. ودعا به، ففتَحَ، فإذا فيه: إبراهامُ، كما قال أهلُ دِمشقَ.

قلتُ: رَسمُ المُصحَفِ مُحتَمِلٌ لِلقِراءتينِ، وقراءةُ الجُمهورِ أفصَحُ وأولى.

قال ابنُ القاسِم: سألْتُ مالكًا عن عليٍّ وعثمانَ، فقال: ما أدركْتُ أحدًا مِمّنْ أقتدي به إلاّ وهو يَرى الكفَّ عنهما. قال ابنُ القاسِم: يُريدُ التّفضيلَ بينهما. فقلتُ: فأبو بكرٍ، وعمرُ؟ فقال: ليس فيهما إشكالٌ، إنّهما أفضَلُ مِن غيرِهما.

قال الحسَنُ بنُ رَشيقٍ: سمعتُ النّسائيَّ يقولُ: أُمَناءُ اللهِ على عِلْمِ رسولِ اللهِ ﷺ ثلاثةٌ: شُعبةُ، ومالكٌ، ويحيى القطّانُ.

قال القاضي عياضٌ: قال مَعْنٌ: انصرَفَ مالكٌ يومًا، فلَحِقَه رجلٌ يُقالُ له: أبو الجُوَيريةِ، مُتّهَمٌ بالإرجاءِ، فقال: اسمعْ مِنّي. قال: احذَرْ أنْ أشهَدَ عليكَ. قال: واللهِ ما أُريدُ إلاّ


بيان تناقضات رموز المشبهة
وأعلام المجسمة وتذبذبهم في
شرح حديث النزول، وكلامهم
الصريح في التجسيم: من ابن
تيمية وتلاميذه إلى الألباني
وابن العثيمين.

تأليف المدعو عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تقديم المدعو صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الكتاب المسمى الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة، الجزء ١ / صفحة ٤٩ يقولون: **وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته.**

قول أهل البدع: نزول الله حقيقي.

في الكتاب المسمى شرح العقيدة الواسطية الجزء ١ / صفحة ٢٠٩ يقولون: **فَأَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ يُؤْمِنُونَ بِالنُّزُولِ صِفَةً حَقِيقِيَّةً لله عزَّ وجَلَّ، على الكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَشاءُ، فَيُثْبِتُونَ النُّزُولَ كَما يُثْبِتُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَقِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ، فلا يُكَيِّفُونَ وَلا يُمَثِّلُونَ وَلا يَنْفُونَ وَلا يُعَطِّلُونَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ أَخبَرَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ يَنْزِلُ.**

(في الأصل) تأليف ابن عبد الوهاب - ومحمد خان القنوجي - محمود شكري الألوسي (توسع فيها)

في الكتاب المسمى قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر الجزء ١ / صحيفة ٥٧ يقولون: وأما أهل النفي والجحود، فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا حال فيه، ولا فوق العالم، ولا فيه، ولا ينزل منه شيء.

تأليف المدعو عبد الرحمن بن ناصر السعدي

في الكتاب المسمى التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه من المباحث المنيفة، الجزء ١ / صفحة ٥١ يقولون: وأن نزوله حقيقة كيف يشاء.

قول المجسمة: الله ينزل بذاته.

في كتاب الألباني المسمى السلسلة الصحيحة الجزء ٦ / صحيفة ٥٠ يقول: وقد أورد الحديث على الصواب فيها (ص٣٧٣) واستدل به على نزوله تعالى بذاته عشية عرفة.

في الكتاب المسمى قسم العقيدة قبل (الأسماء والصفات) لابن عيثمين الجزء ٩ / صحيفة ٢٦ يقول: ولهذا لم يتكلم الصحابة فيما أعلم بلفظ الذات في الاستواء والنزول، أي لم يقولوا: استوى على العرش بذاته، أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، لأن ذلك مفهوم من اللفظ، فإن الفعل أضيف إلى الله تعالى، إما إلى الاسم الظاهر، أو الضمير، فإذا أضيف إليه كان الأصل ان يراد به ذات الله عز وجل لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات.

وفي الجزء ١٠ / صحيفة ٢ قبل (باب النزول) يقول: الله تعالى نفسه ينزل حقيقة.

وفي الجزء ٣٢ / صحيفة ٣٩ قبل (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه) يقول: فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبّر شؤونهم،

فيحيي، ويُميت، ويغني، ويُفقر، ويُؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء.

قيل: ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

وفي الجزء ٣٣ / صفحة ٢٨ قيل (فتح رب البرية بتخليص الحموية) يقول: ونزوله تعالى: إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

وفي الجزء ٣٤ / صحيفة ١٩ قيل (تعليقات على العقيدة الواسطية) يقول: ومعنى النزول عند أهل السنة أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولا حقيقيًا يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو.

وفي الجزء ٣٦ / صحيفة ١٥ قبل (شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل...) يقول: وهو نزول حقيقي يليق بالله.

ابن عثيمين في كتابه المسمى شرح الواسطية القسم الثالث الجزء ٦١ / صحيفة ١٨ يقول: فإذا آمنت بأنه ينزل حقيقة علمت أن هذا ليس بمستحيل.

وصحيفة ٣٤ يقول: وقوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»: نزوله تعالى حقيقي. وصحيفة ٣٥ يقول: بهذا يتبين لكل إنسان قرأ هذا الحديث أن المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول: بذاته، ما

دام الفعل أضيف إليه، فهو له، لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته، لأنهم لجئوا إلى ذلك، واضطروا إليه، لأن هناك من حرفوا الحديث.
وصحيفة ٣٦ يقول: فنقول: هو ينزل حقيقة مع علوه حقيقة.

في كتاب ابن عثيمين المسمى شرح العقيدة السفارينية ٢، الجزء ٧١ / صحيفة ٢٠ يقول: ولا تقول: ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، ما دام أن قيل: الفعل مضاف إلى الله فهو صادر منه، لكن ورد في كلام بعض السلف، قولهم: إن الله استوى على العرش بذاته، ومرادهم بهذا الرد على قول من قال: إن الله استولى على العرش.

قول المجسمة: الله ينزل بذاته.

وصحيفة ٢١ يقول: حينئذ نضطر إلى أن نقول: (بذاته): (ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) (٢٤).

لا نزيد ونقول: ينزل بذاته، لأن الله أضاف النزول إليه نفسه، فإذا قال: (ينزل) يعني هو نفسه ينزل، ما حاجه إلى أن نقول: (بذاته)، لكن لا قال المعطلون: إنه ينزل أمره، احتاج أهل السنة أن يقولوا: إنه ينزل بذاته يعني ينزل ذاته.

وفي صحيفة ٥٣ يقول: ينزل نزولا حقيقيًا بذاته إلى السماء الدنيا.

وفي صحيفة ٥٤ يقول: وقد أجمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم، على أن المراد ينزل ربنا بذاته.

والدليل على إجماعهم: أنه لم يأت عنهم حرف واحد يقولون: إن المراد ينزل شيء آخر غير الله.

ابن عثيمن في ما يُسميه قسم العقيدة، شرح العقيدة السفارينية الجزء ٧١ / صحيفة ٧٨ يقول: حتى بعض السلف أنكر أن تقول: أن الله استوى على العرش بذاته أو أن الله ينزل بذاته، لكن الذين قالوها اضطروا في ذلك الوقت إلى أن يقولوا هذا.

ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، قيل: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء الجزء ١٢ / صحيفة ١٩٠ تيقول: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء بل هي على طريقة السلف الصالح.

س: هل صحيح أن الوهابية تناصب آل البيت العداء، وأنها تنتقص من سيد الخلق، وما حقيقة الدعوة الوهابية؟ ولماذا تحارب بهذا الشكل؟.

ج: الوهابية منسوبة إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، وهو الذي قام بالدعوة إلى الله سبحانه في نجد، وأوضح للناس حقيقة التوحيد والشرك، ودعا الناس إلى توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه، وترك التعلق على أصحاب القبور، ممن يسمون بالأولياء، ودعاؤهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنذر لهم، وهكذا من يتعلق بالجن أو بعض الأشجار والأحجار، وأوضح الناس هو وأتباعه من العلماء: أن هذا هو الشرك الأكبر.

قيل: وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، إلى أن توفي رحمه الله في التاريخ المذكور، وساعده في ذلك ونصر دعوته الإمام محمد

بن سعود رحمه الله، جد الأسرة المالكة اليوم من آل سعود، وناصر دعوته وقام بها كل من لديه علم بما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق، فانتشرت دعوته رحمه الله في نجد وملحقاتها، وأيدها علماء السنة في نجد والحجاز واليمن، وفي مصر والشام والعراق، والهند وغيرها.

وحقيقتها هي الدعوة إلى ما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من توحيد الله، والإخلاص لهن وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله ومتابعة رسوله ﷺ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله والذبح والنذر لغير الله.

ابن باز في كتابه المسمى نور على الدرب، قيل: باب الافتراء على الإمام محمد بن عبد الوهاب، الجزء ١ / صحيفة ١٨ يقول: أما الوهابية فهم أتباع الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رحمه الله، فهو إمام مشهور دعا إلى الله عز وجل في نجد في القرن الثاني عشر.

ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، الجزء ٤ / صحيفة ٢٣٣ يقول: وليت الوهابية حسب تعبير الكاتب بدعا في إنكار مثل هذه الأمور البدعية، بل عقيدة الوهابية: هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.

وفي مجموع فتاويه الجزء ١٢ / صحيفة ١٩١ يقول ابن باز: كما أن الوهابية يسيرون على منهج السلف الصالح.

يقول ابن عثيمين في كتابه المسمى (تفسير القرءان للعثيمين) في تفسيره لسورة الحديد، الجزء ١٥ / صحيفة ١٠: **إذن بطل أن يكون معنا بذاته في أمكنتنا لأنه إما أن يكون متعددًا، وإما أن يكون متجزءًا، وكلاهما باطل.**

فهرس



لُبابُ النُّقول

في تأويل حديث النزول



